

تأليف  
جان كوكتو  
ترجمة  
بكر الحلو

المجلس  
الأعلى  
للثقافة



المشروع القومي للترجمة

# الصدية الطائشون



347





المشروع القومي للترجمة

# الصبيّة الطائشون

(رواية)

تأليف : چان كوكتو

ترجمة : بكر الحلو



٢٠٠٢



## المشروع القومي للترجمة

إشراف : جابر عصفور

– العدد ٢٤٧

– الصبية الطائشون (رواية)

– جان كوكتو

– بكر الحلو

– الطبعة الأولى ٢٠٠٢

ترجمة كاملة لرواية :

Les Enfants Terribles

تأليف : Jean Cocteau

الصادرة عن : Bernard Grasset

1993

---

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة

شارع الجبلية بالأوبرا – الجزيرة – القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo

Tel : 7352396 Fax : 7358084 E-Mail : asfour@onebox.com

---

تهدف إصدارات المشروع القومي للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربي وتعريفه بها، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة.

## مقدمة

جان كوكتو **Jean Cocteau** كاتب مسرحى، وروائى ، وشاعر، وكاتب مقالات فى جريدة الفيجارو الأدبية ، تحت عنوان صور - ذكريات **Portraits \_ Souvenirs** .

ولد فى مدينة ميزون لافيت عام ١٨٨٩م ، وتوفى فى ميلى - لا فوريه، عام ١٩٦٣م .  
كان كوكتو ذا موهبة جارفة فى جميع الفنون الأدبية ، ومع ذلك جذبه المسرح .

\* كتب أولاً **مشاهد باليه موسيقية** : **باليه الإله الأزرق Le Dieu Bleu** ، وباليه الاستعراض **Parade** فى سنة ١٩١٧م، الذى صمم ديكوراته بيكاسو **Picasso**، ووضع موسيقاه ساتى **Satie** .  
\* كما كتب **مأسى إيمائية** : **الثور فوق السطح Le Boeuf** **Sur le toi** عام ١٩٢٧م ، وفيها يسخر كوكتو من السابقين الذين كونوا فكرة متجمدة عن التراث الكلاسيكى ومن المحدثين الذين يلجأون إلى الفوضى اللغوية. ورينو وأرميد **Renaut et Armide** ، فى عام ١٩٤١م، وعرسان برج إيفل **Les Mariés de la tour Eiffel** ، فى عام ١٩٢١م ، وهى تجمع بين الدراما والإيماء والرقص.

\* ثم تناول المسرح الإغريقى : مسرحية أنتيجون **Antigone** وأوديب ملكا **Oedipe roi** لسوفوكليس فى ١٩٢٢م ، ثم الآلة الجهنمية **La Machine Infernale** فى ١٩٣٤م ، التى عُرضت على المسرح فى

١٩٤١م ، وبسببها هاجمته الصحافة المتعاونة مع الألمان هجوماً عنيفاً. ومسرحية أورفيه **Orphée** فى عام ١٩٢٥، وهى أسطورة الشاعر «أورفيه» الذى أراد أن يستعيد زوجته «أوريديس» **Euridyce** التى تتعذب فى الجحيم بسبب تركها عبادة القمر، واتفق مع الإله أن ينقذها بشرط ألا ينظر إليها فى طريق العودة إلى الأرض ، ونظر إليها وفقدها.

\* كتب عدة روايات منها : الاعتزال العظيم **Le grand Ecart** ، وتوما الدجال **Thomas l'imposteur** فى عام ١٩٢٢م ، والصبية الطائشون **Les Enfants Terribles** فى عام ١٩٢٩م فى مصحة سان كلو عندما ذهب للعلاج من إدمان الأفيون ، وفى هذه المصحة كتب يومياته عن هذا العلاج ، وظهرت هذه اليوميات فى ١٩٣٠م تحت عنوان أفيون **Opium** .

\* كتب مسرحيات درامية : دم شاعر **Le Sang d'un poète** سنة ١٩٣٠م، وهذه المسرحية تتناول قصة أوديب، كما تتناول خيال العصور الوسطى فى فرسان المائدة المستديرة **Les chevaliers de la table ronde** فى ١٩٣٧، وتدور هذه المسرحية حول الصراع بين الحق والباطل ، بين الحقيقة والزيف ، بين الصدق والكذب ، والوحوش المقدسة **Les Monstres Sacrés** فى عام ١٩٤٠، والنسر ذو الرأسين **L'Aigle à deux têtes** فى عام ١٩٤٦م ، استمد كوكتو هذه المسرحية من قصة لويس الثانى ملك بافاريا وإليزابيث إمبراطورة النمسا، وما عاناه كل منهما من آلام ، وموتهما الفاجع .

\* وتناول كذلك أدب الرحلات : فقد بدأ طوافه حول العالم مع صديقه مارسيل كيل ، وعاد إلى باريس، وعن هذه الرحلة نشر جان كوكتو كتاب تحت عنوان : رحلتى الأولى **Mon premier Voyage** فى فبراير ١٩٣٧م ، ثم رحلة حول العالم فى ثمانين يوما **Le Tour du Monde en 80 Jours** ، على مسارح باريس، فنالت نجاحا ساحقا،



ثم نشرت فى العام نفسه .

\* كتب كوكتو وأخرج العديد من الأفلام السينمائية وشرع فى إبريل عام ١٩٣٠ م ، فى إخراج فيلم دم شاعر **le Sang d'un poète** ، وعرض فى سنة ١٩٣٢ م ، ثم أخرج بالاشتراك مع جان ديلاوى ، فيلم العودة الأبدية **L'Eternel retour**. وفى النصف الثانى من ١٩٤٥ م أخرج بمفرده فيلما جديدا هو الجميلة والوحش **La Belle et la Bête** الذى استقبله الجمهور والنقاد استقبالا حارا، وفى عام ١٩٤٧ م كتب كوكتو سيناريو فيلم أورفيه **Orphée** ، وفى عام ١٩٤٩ م حول رواية الصبية الطائشون إلى فيلم وقام بإخراجهما بالاشتراك مع جان بيير ملفيل ، وفى عام ١٩٥٠ م عرض فيلم أورفيه فى مهرجان « كان »، ثم عرض فى باريس ثم فى ١٩٦٠ م عرض له فيلم وصية أورفيه .

\* فى مجال الرسم : رسم العديد من اللوحات الجدارية : رسومات على جدران فيلا سانتو ، وعندما أصيب بأزمة قلبية فى سنة ١٩٥٤ م وفى فترة النقاهة رسم مجموعة من اللوحات ، ثم بعد النقاهة انتهى من رسوماته الخاصة ليزين كنيسة عذراء نوتردام دى فرانس فى لندن، كما نفذ لوحات جدارية فى مدينة ماربيلا الإسبانية، ورسم غلاف رواية الصبية الطائشون ومسرحية الآباء الطائشون .

إن الدور الذى قام به كوكتو له أهمية كبيرة فى المسرح والشعر والموسيقى وكذلك فى الأدب الحديث .

كل عمل من أعماله هو ظاهرة تحمل لمسرح الطليعة إمكانيات جديدة : أنتيجون، أورفيه، الآلة الجهنمية وهى عودة نحو الماضى وإحياء للأدب الإغريقى القديم ، فرسان المائدة المستديرة ، الوحوش المقدسة ، والنسر ذو الرأسين تعود بنا إلى ملاحم العصور الوسطى، وفى مسرحية رينو وأرميد، يعود إلى المأساة الكلاسيكية الشعرية

على طريقة شعراء القرن السابع عشر. أخيراً فى مسرحية الآباء الطائشون **Les Parents Terribles** فى ١٩٣٨م، التى نالت نجاحاً ساحقاً يثبت لنا أنه يستطيع كذلك أن يجدد المسرحيات الشعبية والهزلية، لمسرح البوليفار التى كانت تمثل فى الشوارع .

كان عام ١٩٥١م هو عصر المسرح الفكرى والأبحاث الحوارية عن الله والشيطان وأسس الحياة الإنسانية، أراد كوكتو أن ينافس سارتر فكتب مسرحية باخوس **Bacchus** وهى تعرض وجهة نظر أخلاقية صعبة هى مجمل مذهب كوكتو الأخلاقى ،وعرضت لأول مرة فى ٢٠ ديسمبر ١٩٥١م ، وأثارت الكثير من النقد والهجوم على كوكتو ، ثم أعيد عرضها فى أكتوبر سنة ١٩٥٢م فلقى نجاحاً باهراً، فنشرها كوكتو فى نفس العام .

لا تعود أهمية وأصالة مسرحيات كوكتو إلى النص فقط، ولكن أيضاً لحدائثها وأسلوبه الخاص فى عرضها وإخراجها، وشخصياته الرائعة التى تتفق، دون شك ، مع الحياة .

إن مسرح كوكتو غير تقليدى ، مسرح هجومى ، يثير الحيرة ، ويوقظ الوعي والضمير، فليس كوكتو من رجال الأدب بل هو إنسان حى، وفنان مبدع خلاق، يعرض علينا، فى جميع الصور الأدبية، مشكلات إنسانية، مضيّفاً إليها نفحة من الشباب، والتجديد والنضارة .

## بكر الحلو



## الجزء الأول





## (1)

يقع حي مونتييه القديم بين شارع أمستردام وشارع كليشى،  
وندخله من شارع كليشى عبر سور حديدى، ومن شارع  
امستردام عبر بوابة كبيرة مفتوحة دائماً تسمح بعبور  
السيارات، ورواق<sup>(١)</sup> ذو سقف معقود فى عمارة تطل على  
ساحة ذلك الحى، ساحة مستطيلة تماماً، تختفى فيها فنادق  
خاصة صغيرة تحت جدران مرتفعة ومسطحة لمجموعة من  
البيوت، وهذه الفنادق الصغيرة التى يعلوها زجاج ذو ستائر  
كستائر مصور، يبدو أنها تخص بعض الرسامين، وندرك بداهة  
أنها مملوءة بالأدوات الفنية والأقمشة الموشاة بالحرير والذهب،  
وأقمشة من التيل تمثل قططا فى سلال، وعائلات وزراء من  
بوليفيا، ويسكنها سيد مجهول مشهور<sup>(٢)</sup>، أعيته المطالب  
والرواتب الحكومية، ويحميه سكون هذه الساحة الإقليمية من  
القلق.

مرتان فى اليوم، فى الساعة العاشرة والنصف صباحاً،  
والساعة الرابعة مساءً، يعكس صفو هذا السكون صياح مزعج،  
لان مدرسة كوندورسيه الصغيرة تفتح أبوابها أمام ٧٢ مكرر

من شارع أمستردام وأختار التلاميذ الساحة كحى عام . أنها ميدان لإضرابهم، إنها نوع من ميادين العصور الوسطى، ساحة للحب والألعاب والمعجزات وسوق للطوايع والبلى، مكان خطير تحكم فيه المحكمة على المذنبين وتنفذ عليهم الأحكام، وتدبر منذ مدة طويلة معاكسات التلاميذ لزملائهم الجدد والتي تنتهى فى حجرات الدراسة، ويدهش أعدادها المدرسين، فشاباب الصف الخامس طائشون، والعام القادم سينقلون إلى الصف الرابع<sup>(٣)</sup> فى شارع كومرتان، وسيحتقرون شارع أمستردام، وسيكون لهم دور مهم، ويهجرون الحقيبة (حافظة الأوراق) ويحملون أربعة كتب مربوطة بحزام وقطعة مربعة من السجاد . ولكن فى الصف الخامس عندما تستيقظ طاقتهم تجد نفسها مازالت خاضعة لغرائز الطفولة الغامضة، غرائز حيوانية ونباتية من الصعب أن ندهش لممارستها، فالذاكرة لا تحتفظ بها أكثر من ذكرى بعض الآلام، ويلتزم الأطفال الصمت عند اقتراب الأشخاص الكبيرة. يسكتون، ويتصرفون تصرفاً آخر، ويعرف هؤلاء الممثلون الكبار متى ينفشون أشواكهم فجأة مثل الحيوان أو يتسلحون بالتواضع الهادئ مثل النبات ولا ينشرون أبداً طقوس معتقداتهم الغامضة، ونكاد نعرف أن تلك الطقوس تتطلب الخداع والضحايا والأحكام الموجزة، والذعر، والألم والتضحية الإنسانية، وتظل التفاصيل غير واضحة، هؤلاء المشابرون لهم أسلوبهم الذى يمنعنا عن فهمهم إذا سمعناهم بالصدفة دون أن يرونا . هناك كل يتاجر، فى كرات العقيق



والطوايع ، وتملأ النقود القليلة جيوب التجار وذوى الخبرة ،  
ويخفى الصراخ هذه التجمعات غير القانونية وأعتقد لو أن أحد  
الرسامين ، قابعا فى رفاهيته ، سحب الحبل الذى يحرك الستار ،  
فإن هؤلاء الفتية لن يقدموا له أحد الأسباب التى تروق له ،  
ويمكن أن نطلق عليهم : منظفو المداخلن يتراشقون بكرات  
الثلج ، أو اليد العنيفة ، أو الصبية الظرفاء الوقحون .

فى ذلك المساء كان هناك الثلج ، يتساقط منذ عشية أمس ،  
ومن الطبيعى أنه شكل منظراً آخر ، وتراجع الساحة إلى  
العصور القديمة ، وكأن الثلج الذى توارى فى التراب الرغد لا  
ينزل فى أى مكان آخر ولا يتكدس إلا هناك .

كان التلاميذ العائدون إلى حجرة الدراسة يدمرون ،  
يسحقون ، يكدسون الأرض الصلبة الموحلة ، ويتخلصون منها  
بخطوات واثبة ، وكان الثلج القذر يكون أثراً عميقة على طول  
مجرى ماء . وأخيراً هذا الثلج القذر أصبح ثلجاً حقيقياً على  
درجات السلالم والمظلات الزجاجية أمام الأبواب وواجهات  
الفنادق الصغيرة ، وهناك أشرطة من اللباد وحلية أفاريز وحزم  
ثقيلة من أشياد خفيفة بدلا من أن تقوى مسيرات الماء كانت  
تطفو بشكل مضطرب أهوج ، وبفضل الثلج الذى يلمع بذاته ،  
ومع رقة الواجهات المضاءة تجتاز النفس المترفة الحجارة وتظهر  
وتصبح بتلك الرقة التى تجعل الساحة صغيرة ، وتزينها  
وتبهجها وتحولها إلى بهو خيالى .

فى الشارع كان المشهد أقل هدوءاً ، ومصاييح الغاز تكاد

تضئ ما يشبه ساحة معركة خاوية ، وتكشف الأرض المخدوشة  
عن بلاط غير متساوٍ تحت تمزقات الجليد، أمام فوهات  
البالوعات تسرع منحدرات الثلج القذر نحو كمينها، وتضعف  
رياح باردة عنيفة الغاز على فترات، وفي ذلك الوقت تهتم  
الأركان المظلمة بموتاتها .

ومن وجهة النظر هذه تغيرت الأمور، فلم تعد الفنادق  
مقصورات لمسرح غريب وأصبحت حقاً مساكن مطفأة عمداً  
ومحصنة على طريق العدو .

وبما أن الثلج نزع عن الساحة سمّتها كميدان خالٍ مفتوح  
للحياة والبهلوانات والمضللين والباعة، فإنه يضيف عليها معنى  
خاصاً، هو دور محدود لساحة القتال .

منذ الساعة الرابعة وعشر دقائق بدأت المشكلة، لدرجة أنه  
أصبح من المخاطرة أن نتجاوز الرواق . تحت هذا الرواق احتشد  
الجنود الاحتياطيون الذين كثر عددهم بمقاتلين جدد وصلوا  
فراداً أو مشنئ .

- هل رأيت دارجولو ؟

- نعم ... لا، لا أعرف .

كانت هذه إجابة تلميذ يساعده تلميذ آخر لمساندة أحد  
أوائل الجرحى، ويجذبه من الساحة حتى تحت الرواق . كان  
الجريح يقفز بقدم واحد، مندبل حول ركبته، متعلقا بأكتاف  
زميله .

كان وجه السائل شاحبا وعيناه حزینتان كأنهما عينان



عليلتان ، كان يعرج وحرملته (٤) التي تنزل تحت منتصف ساقه تبدو كأنها تخفى سنما أو تشويها غير عادى ، فجأة طرح للخلف ذيل حرملته واقترب من ركن تتكدس فيه حقائب التلاميذ ، ونرى مشيته وردفه المريض الذى يظهر طريقة حمله لحقيبته الجلدية الثقيلة ، ترك الحقيبة ولم يعد عاجزاً ، ولكن عيناه ظلتا كذلك .

اتجه نحو المعركة .

على اليمين وعلى الرصيف الذى يلامس الرواق ذو السقف المعقود يستجوبون أحد الأسرى . يضىء مصباح الغاز المشهد على فترات متقطعة ، يمسك الأسير ( وهو صبي صغير ) أربعة تلاميذ ، وقد أسند نصف جسمه الأعلى على الحائط ، وبين ساقيه جلس القرفصاء صبي كبير يشد أذنيه ويجبره على مشاهدة حركات وجهه الشنيع ، سكون هذا الوجه الممسوخ الذى يتغير شكله كان يفرع الضحية . كان يبكى ويحاول أن يغمض عينيه ويخفى رأسه ، وفي كل محاولة يقبض صانع الحركات بعض الثلج الرمادى ويفرك له أذنيه .

حدق التلميذ الشاحب فى الجماعة المحيطة به وفتح لنفسه طريقاً وسط القذائف ، كان يبحث عن دارجولو ، إنه يحبه ، أضر به هذا الحب نظراً لأنه سبق وقت معرفته لهذا الحب . إنه داء غامض ، شديد ، ليس له أى علاج ، رغبة عفيفة دون جنس أو غاية .

كان دارجولو هو ديك المدرسة ، يرضى عن من يتحمسون له

أو يساندونه، ولذا فى كل مرة يواجه التلميذ الشاحب صديقه  
ذو الشعر المفتول والركبتين الجريحتين والسترة ذات الجيوب  
السرية، يفقد صوابه .

منحته المعركة الشجاعة، جرى ولحق بدار جولو، قاتل من  
أجله . ودافع عنه، وأثبت له أنه جدير بذلك .

كان الثلج يتطاير ويتحطم على الحرامل ويزين الجدران  
بأشكال على هيئة نجوم، ومن مكان لآخر، وبين الظلام نرى  
تفاصيل وجه أحمر، فمه مفتوح، ويده تشير للهدف .

تشير يد للتلميذ الشاحب الذى يترنح وهو مازال ينادى،  
تعرف على أحد مساعدى معبوده واقفاً على سلم مدخل منزل،  
وبخه هذا المساعد . فتح فمه «دارجو...» وعلى الفور أصابت  
فمه كرة من الثلج، دخلت فيه، شلت أسنانه . كان لديه  
بالضبط الوقت ليدرك ضحكة، ومع الضحكة لاحظ دارجولو  
واقفاً بين رؤساء أركان الحرب، وجنتاه ملتهبتان وشعره أشعث  
فى حركة دائبة .

تلقى ضربة فى صميم صدره، ضربة يرثى لها، قاسية كأنها  
لطمة يد تمثال، فقد صوابه، وتخيل دارجولو على ما يشبه  
منصة، وقد أنزل ذراعه مندهلاً، فى ضوء غير طبيعى .

تمدد على الأرض . سال الدم بغزارة من فمه، لطح ذقنه  
ورقبته وتشربه الثلج . دوت الصفافير، وفى دقيقة واحدة خلت  
الساحة . أسرع بعض الفضوليين حول الجسد دون أن يقدموا أى  
مساعدة، ينظرون بتلهف إلى الفم الأحمر . ابتعد بعضهم

خائفين وهم يفرقعون أصابعهم ويمطون شفاهم السفلى، ويرفعون حواجبهم ويهزون رؤوسهم، ويلحق آخرون حقائبهم من الانزلاق. ظلت مجموعة دارجولو على درجات سلم المدخل ساكنة. أخيراً ظهر مراقب المدرسة والبواب، وأخبرهما تلميذ كان الضحية يناديه باسم جيرار وهو يدخل المعركة. سبقهم، رفع الرجلان المريض، واستدار المراقب جهة الظلام :

- أهو أنت، يا دارجولو ؟

- نعم، يا سيدى .

- اتبعنى .

وبدأت الجماعة سيرها .

مزايا الجمال غير محدودة، فهو يؤثر حتى على هؤلاء الذين لا يدركونه. كان المدرسون يحبون دارجولو، والمراقب يتضايق للغاية من هذه القضية غير المفهومة .

نقلوا التلميذ إلى مسكن البواب، حيث توجد زوجته، وهى سيدة طيبة، غسلته وحاولت أن تجعله يثوب إلى رشده .

كان دارجولو يقف بالبواب، وخلف الباب تتزاحم رؤوس فضولية. كان جيرار يبكى ويمسك يد صديقه .

قال المراقب :

- احك، يا دارجولو .

- ليس هناك ما يحكى يا سيدى . كنا نلقى بكرات الثلج،

فقدفته بإحداها ربما كانت صلبة، تلقاها بصدره، صاح «آه!» .

وهكذا سقط، اعتقدت أولاً أن الدم يسيل من أنفه بسبب



- كرة أخرى من الثلج .
- إن كرة الثلج لا تحطم الصدر .
- حينئذ قال الطفل الذى يدعى جيرار :
- يا سيدى ، لقد أحاط قطعة من الحجر بالثلج .
- سأل المراقب :
- هل هذا صحيح ؟
- رفع دارجولو كتفيه .
- ألا تجيب !
- لا فائدة ، انتبه أنه يفتح عينيه ، اسأله ..
- استعاد المريض وعيه ، وأسند رأسه على ساعد زميله .
- بماذا تحس ؟
- اعذرنى ..
- لا تعتذر ، إنك مريض ، لقد أغمى عليك .
- أتذكر ...
- هل تستطيع أن تقول لى الآن لماذا أغمى عليك ؟
- لقد تلقيت كرة من الثلج فى صدرى .
- الإنسان لا يحس بالألم عندما يتلقى كرة من الثلج .
- لم أتلق أى شىء آخر .
- زميلك يدعى أن هذه الكرة من الثلج كانت تخفى حجراً .
- رأى المريض دارجولو يرفع كتفيه ، قال :
- جيرار مجنون . أنت مجنون . هذه الكرة كانت من الثلج ،
- كنت أجرى ، ربما أصبني احتقان .

تنهد المراقب .

كان دارجولو فى طريقه للخروج، راجع نفسه، وظنوا أنه يسير نحو المريض . وصل أمام مائدة مستديرة حيث يبيع عمال المدرسة مقابض ريشة الكتابة والحبر والحلوى، تردد وسحب بعض الفكة من جيبه ووضعها على حافة المائدة، وأخذ مقابضها أحد لفافات العرقسوس التى تشبه رباط الحذاء ويمصها طلبة المدارس . اجتاز بعد ذلك مسكن البواب، رفع يده إلى صدغه على طريقة التحية العسكرية، واختفى .

أراد المراقب أن يصحب المريض إلى منزله، وقد كلف من قبل من يبحث عن سيارة تنتظرهم، بينما ادعى جيران بأن ذلك غير مهم، وأن وجود المراقب سيقلق كثيراً الأسرة، وأنه سيأخذ على عاتقه أن يعيد المريض إلى منزله، وأضاف :  
- وفضلاً عن ذلك، انظر أن بول يسترد قواه .

لم يتمسك المراقب بأى إجراء آخر لهذه النزهة . الثلج يتساقط . يسكن التلميذ فى شارع مونمارتر .

أشرف على وضع المريض فى السيارة، وعندما رأى أن الشاب جيران يلف زميله فى الدراسة بوشاحه الصوفى وحرملته تيقن أن مسئوليته آمنة .

## الهوامش

- ( ١ ) دهليز مسقف أمام البيوت .
- ( ٢ ) مجهول الاسم، مشهور في فنه .
- ( ٣ ) التعليم في فرنسا يبدأ بالصف الثاني عشر وينتهي بالصف الأول وهو الثانوية .
- ( ٤ ) ملابس يشبه المعطف ولكن بدون أكمام يلبسه طلبة المدارس .



## (٢)

تسير السيارة ببطء على الأرض المغطاة بالثلج. ينظر جيارار رأس صديقه المسكين التي تهتز شمالاً ويميناً في ركن السيارة. يتأملها خلسة وهي تضيئ الركن بلونها الشاحب. أساء التقدير عندما اعتقد أنه يتأمل عينيه المغلقتين، ولكن لم يلاحظ إلا ظل أنفه وشفتيه وكل ما حولهما مازال به آثار الدم وهمس : «بول ...» كان بول يسمع، ولكن إعياء شديد يمنعه عن الإجابة. سحب يده من بين ثنايا الحرملة ووضعها على يد جيارار.

في مواجهة خطر من هذا النوع، يتنازع الطفولة طرفان متناقضان. فعندما لا تشك في العمق الذي تستقر فيه الحياة ووسائلها القوية فإنها تتخيل في الحال ما هو أسوأ. ولكن هذا الأسوأ قلما يبدو لها واقعاً بسبب الاستحالة حيث تجد نفسها تواجه الموت .

كرر جيارار : « إن بول يموت ، بول سيموت » ، إنه لا يصدق ذلك، ويبدو له موت بول نتيجة طبيعية لأوهامه، رحلة على الثلج، وستبقى على الدوام، لأنه إذا كان يحب بول كحب بول

لدارجولو فإن تأثير بول فى نظر جيران هو فى ضعفه، وبما أن بول يركز نظره على بريق المسمى دارجولو، فإن جيران قوى ومنصف، يلاحظه، ويراقبه، يحميه، ويمنعه أن يحترق بسببه، كم كان أحرق للغاية تحت الرواق! كان بول يبحث عن دارجولو، وأراد جيران أن يثيره بعدم اكتراثه، ونفس الإحساس الذى كان يدفع بول نحو المعركة هو الذى أثناه عن أن يتبعه. رآه من بعيد يسقط ملوثاً بالدم فى إحدى الحالات التى تبعد المارة العابرين، ويخشى، إذا اقترب، أن يمنعه دارجولو وجماعته من الوصول إليه، فأسرع طلباً للنجدة.

الآن استعاد إيقاعه الطبيعى، يرمى بول، هذه هى مهمته التى يتحملها باقتدار. كل هذا الحلم رفعه إلى دائرة الدهول، وكان لسكون السيارة وفوانيس النور ومأموريته تأثير قوى. ويبدو أن ضعف صديقه أصبح مذهلاً، وازداد لأقصى درجة ووجدت قوته أخيراً مهمة أخرى جديرة بها.

فجأة ظن أنه اتهم دارجولو، وأن الحق قد أملى عليه عبارته، وجعله يرتكب إثماً. رأى مرة أخرى مسكن البواب والصبى السخيف الذى يرفع كتفيه، وعين بول الزرقاء، عين ملؤها التعب، وجهده الذى يفوق قدرة البشر حتى يقول: «أنت مجنون» وحتى يبرىء المذنب. أبعد هذه الواقعة التى تضايقه، كانت لديه أعذاره، فإن كرة من الثلج بين يدي دارجولو يمكن أن تصبح كتلة أكثر إجراماً من مديته ذات الأسلحة التسعة. يجب أن ينسى بول الموضوع، ومهما كلفه الأمر يجب أن يعود إلى

حقيقة الطفولة ، حقيقة هامة ، بطولية وغامضة تغذيها بعض التفاصيل المتواضعة ويفسد صورتها الجذابة استجواب الشخصيات العظيمة لها .

واصلت السيارة مسيرتها في الفضاء ، تتقابل مع النجوم التي يخرق بريقها الزجاج غير اللامع الذي تضربه الرياح العاصفة القصيرة .

فجأة يسمع نغمتين تستحقان الرثاء ، وتصبحان مؤلمتين ، إنسانيتين ، قاسيتين ، اهتزاز الزجاج ومرور عاصف لرجال المطافئ ، وعلى جانبي الخطوط المتعرجة المرسومة على الجليد لاحظ جيرار الجزء الأسفل للعمارات التي تتابع ويتطاير منها الصياح ، سلالم الإطفاء الحمراء والرجال الذين يرتدون خوذات ذهبية مستقرين كأنهم صور رمزية .

يرقص انعكاس الضوء الأحمر على وجه بول . ظن جيرار أنه يتحرك . بعد الزوبعة الأخيرة عاد شاحبا كما كان ، وعندئذ لاحظ جيرار أن اليد التي كان يمسكها ساخنة ، وأن هذه الحرارة المطمئنة تسمح له أن يلعب لعبته ، وكلمة لعبة هي لفظ غير دقيق ، ولكن هكذا كان يشير بول للإحساس غير الواضح الذي يغوص فيه الأطفال ، ويعتبر في ذلك أستاذاً ، كان يسيطر على الفضاء والزمن ، ويغذى الأحلام ويمزجها بالواقع ، ويعرف كيف يعيش عند هبوط الليل ، وفي حجرة الدراسة يخلق عالماً يعجب به دارجولو ويطيع أوامره .

هل يلعب لعبته ؟ تساءل جيرار وهو يشد على اليد الساخنة



وينظر متلهفًا الرأس المقلوبة .

بدون بول هذه السيارة يمكن أن تكون سيارة ، وهذا الثلج  
ثلجًا ، وهذه الفوانيس فوانيس ، وهذه العودة عودة ، كان من  
الصعب عليه أن يخلق النشوة لنفسه ، أن بول يسيطر عليه ،  
وتأثيره غير كل شيء مع مرور الوقت ، وبدلاً من أن يتعلم  
قواعد الصرف والنحو والحساب والجغرافيا والعلوم الطبيعية ،  
تعلم أن ينام يقظاً ، لا يؤذيك ، ويعطى للأشياء معانيها  
الحقيقية . إن تأثير عقاقير الهند على هؤلاء الأطفال العصبيين  
أقل من تأثير ممحاة أو يد ريشة يمضغونها خفية خلف القمطر .

هل يلعب لعبته ؟

لم ينخدع جيرار ، اللعبة التي لعبها بول كانت شيئاً آخر - لم  
تستطع طلبمات الماء التي تمر أن تشغله ، حاول أن يستعيد  
سياق الأحداث ، ولكن لم يكن هذا هو الوقت المناسب ، لقد  
وصل . توقفت السيارة أمام باب المنزل .

خرج بول من غيبوبته .

سأله جيرار :

- هل تريد أن أساعدك ؟

لا فائدة ، يجب أن يسنده حتى يصعد ، ليس على جيرار إلا  
أن ينزل أولاً الحقيبة .

حمل الحقيبة ومسك بول من خصره ، وتعلق بول بذراعه  
الأيسر الذى يطوق رقبتة ، تسلق الدرجات وتوقف عند الطابق  
الأول . كان هناك مقعد خشبي قديم بقطيفة خضراء مقطوعة ،

وظهر شعر الحشو والسلك اللولبي، وضع عليه جيرار حمله  
الشمين، اقترب من الباب الأيمن، دق الجرس، سمعت بعض  
الخطوات، توقفت، سكون - «اليزابيث!» استمر السكون،  
«اليزابيث» استمر السكون، «اليزابيث!» همس جيرار بقوة :  
- افتحي ! إنه نحن .

سُمع صوت ضعيف صارم :  
- لن أفتح، إنكما تثيران إشمئزازي !، إن الصبية تغيظني،  
أستما مجنونين حتى تأتيان في مثل هذه الساعة .  
ألح جيرار :

- لزابيث <sup>(١)</sup>، افتحي، افتحي بسرعة إن بول مريض .  
بعد فترة قصيرة انفرج الباب، واستطرد صوتها عبره :  
- مريض ؟ إنها حيلة حتى أفتح، أصحيح هذا الكذب ؟  
- بول مريض، أسرع إنه يرتعش على المقعد الخشبي .  
انفتح الباب على مصراعيه، ظهرت فتاة ذات ستة عشر  
عاماً، تشبه بول، لها نفس العينين الزرقاوين المظللتين برموش  
سوداء، نفس الوجنتين الشاحبتين، تكبره بعامين، وذلك يظهر  
بعض ملامحها، وتحت شعرها القصير على هيئة حلقات، ظهر  
وجه الأخت الذي اكتمل وانتظم وأسرع نحو الجمال دون  
إبطاء، وجعل وجه شقيقها متراخ قليلاً .

من مدخل الردهة المظلم يظهر بياض بشرة إيزابيث فجأة  
وبقعة على فوطة المطبخ الطويلة بالنسبة لها .  
منعتها الحقيقة التي كانت تعتقد أنها أكذوبة من أن تدهش .

سندت هي وجيرار بول الذي يتعثر وقد ترك رأسه تتدلى على صدره، وعند المدخل أراد جيرار أن يشرح الموضوع .

همست إليزابيث :

- أبله، لا يفوتك الخطأ أبداً، ألا تستطيع أن تتكلم دون أن تصيح ! أتريد أن تسمع أمي ؟

اجتازوا حجرة الطعام وهم يدورون حول المائدة، ودخلوا يمينا في حجرة الأطفال . تحتوى هذه الحجرة على سريرين صغيرين، صوان صغير بأدراج، ومدفأة، وثلاثة مقاعد . بين السريرين باب يفتح على دورة مياه ومطبخ ندخلهما أيضاً من البهو، وللوهلة الأولى تدهشنا هذه الحجرة، فبدون أسرة نظنها كراراً<sup>(٢)</sup>، بها صناديق، وبياضات، وفوط إسفنجية منتشرة على الأرض، وسجادة صغيرة تظهر حبالها، وفي وسط المدفأة يجلس تمثال نصفي من الجبس أضيفت عليه بالحبر عينان وشارب، وفي كل مكان دبابيس رسم تثبت صفحات من مجلات وصحف وبرامج تعرض نجوم أفلام وملاكمين وقتلة .

فتحت إليزابيث لنفسها طريقاً بين الصناديق بضربات قوية من قدمها وهي تسب، وأخيراً مددا المريض على سرير مكدس بالكتب . روى جيرار المعركة .

صاحت إليزابيث :

- هذا كثير جداً، يتسلى هؤلاء السادة بكرات الثلج بينما أقوم بالتمريض والعناية بأمي العليلة . صاحت : أمي عليلة ! كانت سعيدة بتلك الكلمات التي تعطيها أهمية : - اهتم

بأمرى العليلة وأنتم تلعبون بكرات الثلج . أنت الذى سحبت بول إننى على يقين من ذلك ، هذا الأحمق .

صمت جيرار . إنه يعرف الأسلوب العاطفى للأخ والأخت ولغتهما كطالبين ، وتوترهما الذى لا يفتر أبدا ، ومع ذلك ظل خجولا ، وحزن قليلا .

استطردت :

- من سيعتنى ببول ، أنت أم أنا ؟ ماذا حدث لك حتى تظل هناك كالأبله .

- يا صغيرتى ليزابيث .

- لست ليزابيث ، ولا صغيرتك ، وأرجوك أن تلتزم بأدب اللياقة . ومع ذلك ..

قطع صوت بعيد هذا التأنيب ، قال بول بين شففيه :

- جيرار ، يا صديقى ، لا تسمع لهذه التافهة البذيئة .. إنها تزعجنا .

قفزت إيزابيث بسبب هذه الإهانة .

- تافهة ! يا صديقى التافهين ، تصرفا - اعتن بنفسك وحدك . لقد فاض الكيل . أبله لا يتحمل كرات الثلج ، ومن السخف أن أغضب !

قالت دون تمهيد :

- انتبه يا جيرار ، انظر .

بوثة مفاجئة أرسلت ساقها اليمنى فى الهواء أعلى من رأسها .



- هكذا أتمرّن منذ أسبوعين .

- وأعادت التمرين .

- أشارت إلى الباب .

- والآن اخرج ! انطلق !

- تردد جيرار على العتبة، وتمتم .

- ربما ... ينبغي أن نبحث عن طبيب .

- أنزلت إليزابيث ساقها .

- طبيب ! كنت انتظر نصيحتك، إنك ذو ذكاء نادر، لتعلم

أن الطبيب يعود أُمّي في الساعة السابعة، وسأعرض عليه بول .

واختتمت :

- هيا اخرج !

- بينما لم يعرف جيرار ماذا يفعل .

- هل أنت طبيب، بالصدفة ؟ لا ؟ إذن ارحل ! ألن ترحل ؟

- ضربت بقدمها وأرسلت عيناها بريقا حادا، وولى هاربا .

- وبينما كان يخرج متقهقرا، وحجرة الطعام مظلمة، قلب

مقعدا .

- رددت الفتاة الصغيرة :

- غبي ! غبي ! لا ترفع المقعد ستقلب آخرا، انطلق بسرعة

وإياك أن تصفق الباب .

- على درجات السلم تذكر أن السيارة تنتظره ولا يملك نصف

فرنك في جيبه ولم يعد يجرؤ أن يدق الجرس، إليزابيث لن

تفتح أو ستعتقد أنها تفتح للطبيب وتنهال عليه بالسخرية .

كان يسكن فى شارع لافيت عند خال له يقوم بتربيته . قرر أن يذهب إلى هناك ويشرح الظروف ويحصل من خاله على ثمن المشوار .

كانت السيارة تسير وهو قابع فى الركن الذى كان يستند فيه صديقه منذ قليل ، وترك عمدا رأسه تتدلى إلى الخلف مع رجة السيارة فى سيرها . لم يحاول أن يلعب اللعبة ، كان يتألم ، لقد اكتشف بعد مرحلة غامضة الجو الخير لبول وإليزابيث . لقد أيقظته إليزابيث وجعلته يدرك أن ضعف شقيقها يزداد تعقيدا من هذه الهفوات القاسية . بول الذى قهره دارجولو ، بول ضحية دارجولو ، لم يعد بول الذى كان جيارار عبدا خاضعا له . كان جيارار يتصرف فى السيارة كمجنون ساءت حالته لموت شخص ، ودون أن يتصور الأمر بهذه الطريقة المشوشة ، أدرك أن هدوء هذه اللحظات يعود إلى مزيج من الشلج المتساقط والإغماء ، وإلى ضرب من اللبس . وعندما اعتبر أن بول كان شخصا نشيطا خلال هذه الجولة فإنه عزا عودة الدم إليه إلى انعكاس ضوء المضخات السريع .

بالتأكيد كان يعرف إليزابيث ، والاحترام الذى تكنه لشقيقها والمحبة التى ينتظرها من ذلك . إن إليزابيث وبول يحبانه كثيرا ، ويعرف حبهما العاصف لبعضهما والصواعق التى تتبادلها نظراتهما ، وتباين نزواتهما ، ولغتهما البذيئة . فى هذا السكون بدأ يعيد ترتيب الأمور ، ورأسه تهتز وهى مدلاة على صدره ، ورقبته باردة ، ولكن إذا كانت هذه الحكمة تظهر

من وراء كلام إليزابيث قلبا متلهفا وحنونا ، فإنها تعيده إلى غيبوبة قصيرة ، إلى حقيقة هذه الغيبوبة ، إلى غيبوبة تخص الشخصيات العظيمة وإلى النتائج التي يمكن المخاطرة بها .

في شارع لافيت طلب من السائق أن ينتظر دقيقة . تضر السائق . صعد درجات السلم أربعة أربعة ، وجد خاله ، اقتنع الرجل الطيب .

عندما نزل ، كان الشارع خاليا ولا يظهر إلا الثلج ، لأن السائق كان يائسا ، قبل دون شك أن يتحمل توصيل أحد المشاة الذي اعتقد أنه دفع قيمة المشوار المسجل بالعداد . وضع جيار المبلغ في جيبه ، وفكر - لن أقول شيئا سأشتري أى شيء لـإليزابيث ، وسيكون ذلك حجة لأعرف الأخبار .

في شارع مونمارتر ، وبعد فرار جيار ، دخلت إليزابيث حجرة أمها ، كانت هذه الحجرة تكون مع حجرة استقبال بسيطة الجانب الأيسر من الشقة . كانت المريضة ناعسة . منذ أربعة شهور ، أصابتها نوبة شلل شديدة ، وتبدو هذه السيدة التي تبلغ من العمر الخامسة والثلاثون طاعنة في السن ، وتتمنى الموت . فتنها زوجها ، لطفها ، حطمها ، وتركها . وفي غضون ثلاث سنوات كان يظهر في فترات قصيرة في مسكن الزوجية ، يقوم ببعض المشاجرات البشعة ، وأعادته إلى هناك التهاب الكبد ويتطلب ذلك العناية به ، كان يهدد بالانتحار ملوحا بالمسدس . بعد الأزمة يلحق بعشيقته التي كانت تطرده عند اقتراب الألم . جاء ذات مرة ، ضرب الأرض بقدميه ، ورقد ، ولم يستطع أن

يرحل ثانية، مات عند زوجته التى كان يرفض أن يعيش معها .  
أصاب هذه السيدة التى انطفأ نورها إحساس بالسخط  
جعلها تهمل أولادها، وتستعمل مساحيق التجميل، وتغير  
خادمة كل أسبوع، وترقص، وتبحث عن النقود بكل وسيلة .  
أخذت إليزابيث وبول عنها قناعها الشاحب، ومن أبيهما  
الفوضى والأناقة والأهواء الطائشة .

كانت الأم تفكر، لماذا تعيش؟ لن يترك الطبيب أبدا الأولاد  
تضيع فهو صديق قديم للعائلة، إنها سيدة عاجزة تضى  
صغيرتها وكل المنزل .

- أنت نائمة يا أمى ؟

- لا، إنى أنعس .

- بول أصابه التواء فى قدمه، وضعت فى الفراش، وسأعرضه

على الطبيب .

- هل يتألم ؟

- يتألم عندما يمشى، إنه يقبلك، ويقص الصحف .

تنهدت المقعدة . منذ زمن بعيد تعتمد على ابنتها، كانت

تؤثر الألم ولا تهتم أن تعرف أكثر من ذلك .

- والخادمة ؟

- متعبة أيضا .

عادت إليزابيث، إلى حجرتها، وكان بول متجها نحو

الحائط .

انحنى عليه .



- أنت نائم ؟

- ابعدي عني .

- لطيف جدا أنك رحلت <sup>(٣)</sup> . ( في لغة الإخوة ) رحل ، تعني حالة استفزاز في اللعب ، يقال سأرحل ، ارحل ، رحلت ، ومضايقة اللاعب الذي رحل خطأ لا يغتفر ) - إنك رحلت وسأعمل بجد ، إنك شخص قذر وكريه ، أعطني قدميك لأنزع حذاءك ، إن قدميك متجمدتان من البرد ، انتظر حتى أصنع لك حساء .

وضعت الحذاء الموحد بالقرب من التمثال النصفى ، واختفت في المطبخ ، ونسمعها وهي تشعل موقد الغاز . بعد ذلك عادت وتكفلت بنزع ثياب بول ، كان متدمرا ، ولكنه استسلم . عندما أصبحت مساعدته ضرورية قالت له : « ارفع رأسك ، أو ارفع ساقك » ، و « إذا تظاهرت بالموت فلن أستطيع أن أسحب هذا الكم » .

كانت تفرغ جيوبه على التوالي . ألقت على الأرض منديلا ملطخا بالخبر ، وذخيرة <sup>(٤)</sup> وأقراص حلوى سكرية بالعناب ملتصقة بخيوط من الصوف ، ثم فتحت درجا من الدولاب الصغير ووضعت فيه ما تبقى : يد صغيرة من العاج ، بلية من العقيق ، وغطاء قلم حبر .

هذا هو الكنز ، كنز مستحيل أن يوصف ، والأشياء الموضوعة في الدرج قد تغير مفهومها ، وأصبحت تعني رموزاً معينة . وهذا لا يعطى للشخص الغريب إلا مظهرا لأشياء مختلفة من المفاتيح

الإنجليزية، وأنابيب الأسبرين، وخواتم من الألمونيوم وقطع من الحديد لتجعيد الشعر .

كان الحساء ساخنا، أبعدت الأغذية متذمرة، وفردت قميصا طويلا وقلبت آخرا عاديا كما نسلخ أرنبًا . كان جسم بول يقاوم دائما فزعاته، وتسيل دموعها لهذه الرقة . لفته وغطته، وأنهت عنايتها بكلمة : «نم أيها الأبله !» مصحوبة بحركة وداع . ثم قامت ببعض التمرينات الرياضية وقد ثبتت عينيها وقطبت حاجبيها وتدلى لسانها بين شفتيها .

فاجأتها دقة الجرس الذى كان يسمع بصعوبة، فقد لفوه بقطعة من القماش . كان الطبيب . جذبتة إليزابيث من معطفه المبطن بالفرو حتى سرير شقيقها، وأخبرته بالموضوع .

- اتركينا يا ليز، وأحضرى لى مقياس الحرارة واذهبى لانتظارى فى قاعة الاستقبال، أريد أن أفحصه وأحب ألا يتحرك أحد أو يلاحظنى .

اجتازت إليزابيث حجرة الطعام، ودخلت قاعة الاستقبال، والثلج مستمر فى غزارته . تقف الصبية خلف مقعد ذى مسندين، تنظر هذه الغرفة الغريبة التى علقها الثلج فى الهواء، ويلقى انعكاس ضوء الرصيف المواجه على السقف عدة نوافذ من الخيال والظل وثقوبا من النور على النقوش العربية، يدور فيها خيال المارة بشكل أصغر من طبيعتها .

ازداد سوء موقع هذه الغرفة المعلقة فى الفضاء بالثلج القليل الموجود، والذى يرسم شبعا ساكنا بين الإفريز والأرض . ومن

حين لآخر تكتسح سيارة كل شيء بشعاعها العريض الداكن .  
حاولت إليزابيث أن تلعب اللعبة . كان ذلك مستحيلا .  
قلبها يدق .

بالنسبة لها - كما بالنسبة لجيرار - لم تعد تخص حياتها  
نتيجة معركة كرات الثلج . كان الطبيب يرجع ذلك إلى عالم  
قاس ، يوجد الخوف ويصاب الأشخاص بالحمى ويدركهم الموت .  
ومرة أخرى تخيلت أمها المشلولة وأخيها الذى يموت . أحضرت  
إحدى الجارات الحساء واللحم البارد والموز والكعك الخفيف  
الناشف الذى تأكله إليزابيث فى كل وقت ، فالمنزل ليس به  
خادمة وخاوى من الحب .

كان الأمر يصل بهما إلى أن يتغذيا بأصابع السكر بالشعير  
التي يلتهمها كل منهما فى سريره ، وهما يتبادلان السباب  
والكتب ، لأنهما لا يقرآن دائما إلا نفس الكتب ويتشبعان بها  
حتى الاشمئزاز . وكان هذا الاشمئزاز يساهم فى تقليد يبدأ  
بزيارة دقيقة للأسرة التي يجب أن يخرج منها فتات الخبز  
والأوراق المطوية ، ويستمر الحال فى خلط فظيع ، وينتهى  
باللعبة التي ، على ما يبدو ، يصل الاشمئزاز فيها إلى أقصى  
درجة .

- ليزا !

كانت إليزابيث حينئذ بعيدة عن الحزن ، أزعجها نداء  
الطبيب ، فتحت الباب .  
قال :

- إذن ، لا داعى لإزعاجك ، الأمر ليس خطيراً ، ليس خطيراً ، ولكن ذو أهمية . إن صدره ضعيف ، يكفيه ضربة إصبع خفيفة . ليس هناك داع لعودته إلى المدرسة . الراحة ، الراحة ، الراحة . إنى أوافقك عندما تحدثتى عن التواء فى المفصل . وغير مفيد أن تزعجى أمك ، أنت فتاة راشدة أعتمد عليك ، نادى الخادمة .  
- لم يعد هناك خادمة .

- حسناً ، سأرسل من الغد ممرضتين ستعملان بالتناوب وتهتمان بشئون المنزل ، وستشتريان ما يلزم ، وسوف تلاحظين الجميع .  
لم تشكره إليزابيث ، فقد تعودت أن تعيش بالمعجزات وتتقبلها دون دهشة ، وتنتظرها ، وهذا ما يحدث كثيراً .  
عاد الطبيب مريضته ورحل .

كان بول نائماً ، سمعت إليزابيث أنفاسه وتأملته ، دفعتها عاطفة شديدة لتقطب وجهها ، وتداعبه ، ولكن لا يجب مضايقة المريض النائم . تفحصته واكتشفت بقعاً بنفسجية تحت جفنيه ، ولاحظت أن شفته العليا متورمة . وتتقدم على الشفة السفلى ، لصقت أذنهما على أخيها الساذج ، أية ضوضاء تسمع أذنهما ، سدت إليزابيث أذنهما اليسرى ، اختلطت أنفاسها بأنفاس بول تضايقت إن اضطراب أنفاسه يزداد ، وإذا ازداد أكثر ، فهو الموت .

- يا عزيزى !

- أيقظته :

- هيه ! ماذا !

تمطع ورأى وجهها متلهفا، قال :

- ماذا أصابك، هل جنت ؟

- أنا !

- نعم، أنت يا لك من مزعجة ! ألا تريد أن تتركى

الآخرين ينامون ؟

- الآخرون ! أستطيع أن أنام أنا أيضا، ولكنى أسهر عليك،

إنى أعطيك لتأكل، إنى أسمع أنفاسك .

- أى أنفاس !

- أنفاس حياتك .

- بلهاء !

- كنت أريد أن أخبرك بخبر هام، وبما أنى بلهاء فلن أخبرك .

أغرى الخبر الهام بول، وتحاشى حيلة واضحة، وقال :

- تستطيعين الاحتفاظ بخبرك هذا. لا أبالى، لا بأس .

خلعت إليزابيث ملابسها، ليس هناك أى حرج بين الأخت

وشقيقها، فهذه الحجرة مأوى يحميها، ويعيشان فيها،

ويغتسلان ويلبسان كعضوين لجسد واحد .

وضعت قطعة من لحم البقر البارد وموزا، ولبنا على مقعد

قريب من المريض، نقلت قطعاً من الكعك الجاف، وشراب

الرمان بالقرب من السرير الخالى ورقدت فيه .

كانت تمضغ وتقرأ فى صمت عندما سألتها بول، وقد افترسه

حب الاستطلاع، عما قاله الطبيب، كان تشخيص المرض ليس

له أهمية بالنسبة له. يريد أن يعرف الخبر الهام، بينما الخبر لا



يمكن أن يأتي إلا منها .

دون أن تترك عيناها الكتاب ، ودون أن تنقطع عن المضغ ،  
اندفعت إليزابيث في صوت مكترث وقد أزعجها السؤال ،  
وخشيت نتائج الرفض .

- قال إنك لن تعود إلى المدرسة .

اغلق بول عينيه واظهر له مزاجه المنحرف القاسى دارجولو ،  
ذلك الذى يعيش باستمرار فى أى مكان وفى مستقبل ليس له  
فيه أى مكان محدد ، واصبح انحراف مزاجه قاسياً لدرجة أنه  
صاح :

- ليز !

- هيه !

- ليز ! لا أشعر بتحسن .

- هيا ، حسنا .

نهضت وهى تعرج ، ساقها مخدرة .

- ماذا تريد ؟

- أريد ... أريد أن تبقى بالقرب منى ، قرية من سريرى .

سالت دموعه ، كان يبكى مثل الأطفال الصغار بشفته  
السفلى الغليظة ملطخاً بالريالة والمخاط .

جذبت إليزابيث سريرها أمام باب المطبخ ، يكاد يلامس  
سرير شقيقها ، يفصل بينهما مقعد . رقدت فى السرير وداعبت  
يد البائس .

قالت :

- رويدك ! ها هو أحد الأغبياء، أخبره بأنه لن يذهب إلى المدرسة فيبكى، ويظن أننا سنعيش مبحوسين فى حجرتنا، سيكون هناك ممرضتان بيضاوان، لقد وعد الطبيب بذلك، ولن أخرج إلا لشراء الحلوى وتأجير الكتب .

كانت الدموع ترسم أثرا مبللا على الوجه الشاحب التعس، وبعض هذه الدموع تتساقط من أطراف رموشه، وتضرب الوسادة .

أمام هذه الكارثة التى تشغل تفكيرها، كانت ليز تعض شفتيها، سألته :

- هل أنت جبان ؟

حرك بول رأسه يمينا وشمالا .

- أتحب العمل ؟

- لا .

- إذن ماذا ؟ زفت ! اسمع ( تهز ذراعه ) أتريد أن تلعب اللعبة ؟ تمخط . انظر . سأنومك تنويما مغناطيسيا .

اقتربت وفتحت عينيها الواسعتين .

كان بول يبكى، ينتحب . أحست إليزابيث بتعبه . أرادت أن تلعب اللعبة . أرادت أن تواسيه وتنويمه مغناطيسيا .

كانت تريد أن تفهم، ولكن النعاس اكتسح جهودها بأشعة عريضة سوداء تدور مثل أشعة السيارات على الثلج .

## الهوامش

- ( ١ ) ليزابيث وليس اليزابيث كنوع من الألفة بينهما .
- ( ٢ ) حجرة توضع بها الأشياء المهمة .
- ( ٣ ) كما نقول في الرياضة « انسحب » .
- ( ٤ ) قليل من المواد القابلة للاشتعال .



فى اليوم التالى ، انتظمت الخدمات . فى الساعة الخامسة والنصف فتحت الباب لجيرار ممرضة ترتدى ملابس بيضاء ، كان يحمل أزهار البنفسج الصناعية فى ورق مقوى . كانت اليزابيث مفتونة ، وقالت دون خبث :

- اذهب لترى بول ، أما أنا فسأراقب ضرب الإبرة لأمى .  
كان بول حسن الهيئة بعد أن اغتسل وتمشط . سأل عن أخبار كوندورسيه . كانت الأخبار غريبة حقاً .

فى الصباح استدعى دارجولو عند مدير المدرسة الذى أراد أن يستعيد استجواب المراقب .

كان دارجولو ساخطاً ، يجيب بأى شىء ، مثل « وهو كذلك ، وهو كذلك ! » بطريقة وقحة ، حتى إن المدير نهض عن مقعده وهدده ضارباً المنضدة بقبضته . عندئذ سحب دارجولو من سترته قرطاساً من الفلفل ، وألقى محتواه فى وجهه .

كانت النتيجة مفزعة وفورية على غير العادة ، لدرجة أن دارجولو ، مذعوراً ، قفز واقفاً على مقعد كرد فعل للدفاع دون أن يعرف ضد أى هويس ماء يفتح ، وأى طوفان شرس . من هذا



الموقع المرتفع شاهد رجلاً عجوزاً أعماه الغضب ينزع ياقته ويتدحرج على المنضدة مزمجرًا ومظهرًا كل دلائل الهذيان، هذا المشهد ودارجولو معلقًا، مذهولًا، كما كان بالأمس عندما قذف كرة الثلج، ثبت على عتبة الباب قدم المراقب الذى كان يجرى وقد جذبه الصياح .

عقوبة الإعدام ليست موجودة فى المدارس، ولذا طردوا دارجولو ونقلوا المدير للعلاج. عبر دارجولو. الرواق رافعاً رأسه، وفمه منتفخاً بالهواء دون أن يمد يده لأحد .

ولنا أن نتخيل تأثير المريض عندما قص عليه صديقه تلك الفضيحة، وكما أن جيرار لم يهمل الإشارة لأى انتصار، فإنه لم يظهر أى حزن، فهذا أكثر من طاقته وسأله بول :

- أتعرف عنوانه ؟

- يا صديقى، لا . إن شخصاً مثل هذا لا يعطى أبداً عنوانه لأحد .

- مسكين دارجولو ! هذا ما بقى لنا منه . أحضر الصور .  
وجد جيرار صورتين خلف التمثال النصفى، تمثل إحداها الفرقة الدراسية . يقف التلاميذ فى صف حسب الطول، على يسار المدرس يجلس بول وجيرار القرفصاء على الأرض . ويضع دارجولو يده متقاطعة على صدره مثل لاعب كرة القدم، ويظهر بكبرياء ساقيه القويتين، وتلك إحدى صفات تأثيره السائد .

وفى الصورة الأخرى يظهر فى ملابس أتالى<sup>(١)</sup>، كان التلاميذ يعدون مسرحية أتالى احتفالاً بالقديس شارلمانى . كان

دارجولو يريد أن يلعب الدور الذى استخدم كعنوان  
للمسرحية . تحت غطاء رأسه وملابسه المزركشة يبدو كأنه  
نمر صغير ويشبه أعظم ممثلات المآسى فى عام ١٨٨٩ .  
بينما يسترجع بول وجيرار الذكريات دخلت اليزابيث .  
قال بول وهو يهز الصورة الثانية :  
- هل نضعه ؟

- تضعون ماذا ؟ أين ؟  
- فى خزانة الأشياء الثمينة .  
- ماذا تضعون فى الخزانة ؟  
اتخذت الفتاة وجهاً هلعاً ، كانت تحترم الخزانة ، وإيداع أى  
شئ جيد فيها ليس هيناً ، كان الأمر يتطلب استشارتها .  
استطرد شقيقها :  
- نستشيرك ، هذه صورة الشخص الذى قذفنى بكرة الثلج .  
- أرنى إياها .

تفحصت الصورة طويلاً ولم تجب بشئ .  
أضاف بول :  
- قذفنى بكرة الثلج وقذف المدير بالفلفل ، لقد طردوه من  
المدرسة .

كانت اليزابيث تحلل ، وتفكر ، وتمشي طويلاً وعرضاً وتقرض  
ظفر إبهمها ، أخيراً فتحت الدرج قليلاً وألقت فيه الصورة ثم  
أغلقتها وقالت :

- إن رأسه قدرة يا جيراف <sup>(٢)</sup> (كان هذا هو اللقب المحبب

لجيران) لا تزعج بول، إني عائدة عند أمي، ألاحظ المرضعتين،  
هذا شيء صعب، أنت تعرف ذلك، إنهما تريدان من يبدأ أولاً،  
لا أستطيع أن أتركهما وحدهما دقيقة واحدة .

غادرت الحجرة وهي شبه جادة وساخرة، ومررت يدها على  
شعرها بحركة مسرحية، وتظاهرت بأنها تحرك ذيل ثوبها  
الثقيل .

## الهوامش

- ( ١ ) مسرحية لراسين، وهو اسم ملكة إسرائيلية، فهو يمثل دور الملكة .
- ( ٢ ) جيراف معناها بالفرنسية ( زرافة ) ويطلقون ذلك على جيرار لأنه على وزن جيراف .





بفضل الطبيب أخذت الحياة إيقاعها الطبيعي ، وهذا النوع من الراحة قلما يؤثر على الأطفال ، لأن لهم نظامهم الذى لا ينتمى لهذا العالم . دارجولو وحده هو الذى يستطيع أن يجذب بول إلى المدرسة . عندما فصل دارجولو أصبحت مدرسة كوندورسيه سجنًا .

بعد ذلك بدأ تأثير دارجولو يتغير عن طبيعته ، ليس لأن قيمته تضاءلت ، على العكس ، سما ، وتححرر ، وارتفع إلى سماء الحجرة . عيناه المتعبتان ، وخصلة شعره ، وفمه الغليظ ، ويداه العريضتان ، وركبته الجريحتان ، اتخذت شيئاً فشيئاً أشكالاً نجومية تتحرك وتدور متفرقة فى الفضاء . باختصار لخص دارجولو بصورته فى خزانة الأشياء الثمينة . تشابه الأصل والصورة . أصبح الأصل عديم المنفعة . إن الحالة المعنوية تصور الحيوان فى صورة جميلة ، وتثرى جوانب المساحة السحرية ، وبول ، الذى تخلص من ذلك ، كان يتمتع بلذة المرض الذى لا يمثل له إلا عطلة طويلة .

لم تنتصر نصائح الممرضات على فوضى الحجرة ، بل ازدادت

وأصبحت فى كل مكان، وكان وجود الصناديق، والأوراق التى لا نهاية لها، وهذا الكم الهائل من الملابس والبياضات تمثل مدينة المريض ومجالة، كانت اليزابيث تستمتع بتدمير وجهات النظر الأساسية وتقوض الجبال بحجة الغسيل والكى، وتغذى بكل قوة هذا الجو العاصف الذى لا يمكن أن يعيش بدونه كل منهما .

كان جيرار يأتى كل يوم، تستقبله طلقات المدافع من الكلمات الغليظة. كان يتسم ويحنى رأسه، فسلوكه الهادئ يحصنه ضد هذه اللقاءات التى لم تعد تؤثر فيه، بل يتلذذ بتلك الدعاية، وأمام هدوئه ينفجر الطفلان ضاحكين، ويتظاهران عندئذ بأنهما يجدها مضحكا، «بطلاً» ويقهقهان فيما بينهما لأشياء تخصه ويجعلان منها سراً .

كان جيرار يعرف البرنامج، لا يتأثر بشيء، يتجلد، يتفحص الحجرة، يبحث عن أثر أى تغيير جديد، لم يتحدث عنه أحد من قبل « مثلاً قرأ يوماً بحروف كبيرة خطت بالصابون على المرأة : الانتحار خطيئة قاتلة .

هذا الشعر الصاخب الذى دام طويلاً، كان يلعب على المرأة دور الشارب على وجه التمثال النصفى، ويبدو غير واضح للطفلين، وكأنهما كتباه بالماء. يشهد على حماس فياض لأحداث نادرة لم يشهدا أحداً .

عبارة حمقاء حولت المعركة، كان بول يوبخ شقيقته بسببها، وهكذا أهمل كل منهما صيداً سهلاً، وانتهزا سرعة الأحداث .

تنهد بول :

- آه ! عندما سأحصل على حجرة نوم خاصة بى .....

- وأنا حجرتى .

- حجرتك ستكون نظيفة !

- أكثر نظافة من حجرتك ! اسمع يا جيران ، إنه يريد ثريا .

- اسكتى !

- يا جيران ، سيكون لديه تمثال لأبى الهول من الجبس أمام

المدفأة ، ويريد أن يطلّى ثريا من طراز لويس الرابع عشر بطلاء  
خزفى .

قهقهت ضاحكة .

- هذا صحيح ، سأملك تمثالاً لأبى الهول و ثريا ، أنت غير

جديرة لتفهمى ذلك .

- وأنا أرفض الإقامة هنا ، سأنزل فى فندق ، أن حقيبتى

جاهزة . سأذهب إلى الفندق . عليه أن يعتنى بنفسه ، أرفض

البقاء هنا . حقيبتى معى ، أرفض أن أعيش مع شخص سىء

الخلق .

ينتهى كل مشهد من هذه المشاهد بأن تخرج اليزابيث

لسانها ، وترحل ، وتخرّب ، وتضرب بحدائنها الأشياء المبعثرة ،

يبصق بول فى اتجاهها ، تصفق الباب وتسمع صفقات الأبواب

الأخرى .

كان بول يعانى ، أحيانا ، من نوبات صغيرة من السير أثناء

النوم ، وهذه النوبات ، القصيرة جدا ، كانت تستهوى اليزابيث

ولا تخيفها، كانت هذه النوبات وحدها جديرة بأن تجبر المهووس للخروج من السرير .

عندما ترى اليزابيث ساقا طويلة تظهر وتتحرك بطريقة معينة لا تتنفس وتنتبه لمضمار التمثال الحى الذى يتجول بطريقة ماهرة ويعود للنوم والاستقرار .

موت أمهما المفاجئ كان وقفة للعاصفة، فقد كانا يحبانها، إذا كانا قد أساءا إليها فظنا منهما أنها خالدة لا تموت وأصبح الأمر خطيراً لاعتقادهما بأنهما مسؤولان، فقد ماتت دون أن يلاحظا ذلك ذات مساء عندما ثار بول لأول مرة، وتشاجر مع شقيقته فى حجرتها .

كانت الممرضة فى المطبخ، تحولت المشاجرة إلى معركة، وتبحث الصغيرة عن مأوى بالقرب من مقعد المريضة، وجنتاها ملتهبتان، عندما وجدت نفسها وبطريقة محزنة أمام سيدة كبيرة غريبة تتأملها، عيناها مفتوحتان وفمها فاغر .

احتفظ ذراعا الجثة المتصلبان، وأصابعها المعقودة على المقعد بإحدى الهيئات الكاملة التى يسببها الموت ولا يرتبط إلا به . كان الطبيب يتوقع هذه الهزة . شاهد الطفلان، شاحبين، هذه الصيحة المذهلة وحدهما، عاجزين عن التصرف، وتحول هذا الشخص الحى إلى تمثال، إلى فولتير<sup>(١)</sup> غاضب لا يعرفانه .

حق عليهما أن يحتفظا بتأثير هذا المشهد لمدة طويلة بعد طقوس الحداد والدموع والارتباك، ومعاودة مرض بول وعبارات الطبيب الحنونة وخال جيران، وتقديمهما ما يلزم لتدبير المنزل

عن طريقة الممرضة، أصبح الطفلان وحدهما وجهها لوجه .  
خدمت ظروف موت أمهما الغريبة ذكراها، فلم تجعلها  
مؤلمة . الفجیعة التي أصابتها تركت لها صورة كئيبة دون أدنى  
علاقة للأم التي یأسفان عليها . و زیادة على ذلك فإن بكاء أناس  
غاية فی الإخلاص أو القسوة على شخص غاب عادة ما يؤدي  
إلى فقد مكانته بسرعة . انهما یجهلان السلوك الصحیح،  
تدفعهما الفطرة الحيوانية، وذلك یثبت قلة الحياء البنوی عند  
الحيوانات، ولكن هذه الحجرة تتطلب شيئاً غريباً، و غرابة هذا  
الموت یحمی الفقيدة کتابوت من الحجر الصلد و يعطيها فجأة  
مكانة عظيمة فی سماء الأحلام، كما تحتفظ الطفولة بذكری  
حدث هام نتيجة لتفاصيل سخیفة .



## الهوامش

١- الفيلسوف الفرنسي فولتير كان دائماً ثائراً ضد السلطة.

معاودة مرض بول كانت طويلة وخطيرة، وتفانت الممرضة مارييت فى عملها. غضب الطبيب فهو يريد الهدوء والاسترخاء. وزيادة حصة الوجبة الغذائية، كان يمر ليعطى أوامره ويحدد ساعات النوم الضرورية، ويعود مرة أخرى ليتأكد أن أوامره قد نفذت .

وافقت اليزابيث أخيراً، التى كانت فى البداية عنيفة ومستبدة، أن تقتنع بوجه مارييت الوردى المنتفخ، وخصلات شعرها الرمادية وإخلاصها فى كل محنة. كانت هذه الممرضة مفرمة بحفيد لها يسكن إقليم بريتانى<sup>(١)</sup> وهذه الجدة البريتانية غير المثقفة تفهم أسرار الطفولة الغامضة .

ويمكن لقضاة منصفين أن يدركوا أن اليزابيث وبول معقدين، ولكنهم دافعوا عن ميراث لهم من عمة مخبولة ووالد سكير، معقدان، هما كذلك بلا شك مثل حلية النقوش الهندسية ومثل بعض القضاة، كانت مارييت البسيطة كل البساطة، تخمن ما خفى، وتتحرك على راحتها فى هذا المناخ الطفولى. لا تبحث عن شىء آخر وتشعر أن جو الحجرة أكثر

خفة من الهواء . فى هذه الحجرة لا تقاوم الرذيلة أكثر من مقاومة بعض المكروبات على مستوى مرتفع ، هواء نقى ، خفيف الحركة ، لا يتخلله أى شىء كئيب أو حقير أو دنئ . كانت مارييت تتقبل ، وتحمى كل شىء مثلما تتقبل النبوغ وتحمى عملها ، وهكذا بساطتها تجعلها تدرك النبوغ الشامل الجدير باحترام عبقرية الحجرة ، لأن ما يبدعه هؤلاء الأطفال هو أحد الأعمال الرائعة ، وهم أنفسهم عمل رائع ، ليس للذكاء فيه أى دخل ، ويستمد دهشته من عدم غرورهم وغاياتهم .

هل هناك حاجة لنقول إن المريض كان يستفيد من تعبته ويناور بالحمى التى عنده ؟ كان صامتا ولم يعارض الإهانة .

أبدت اليزابيث استياءها والتزمت صمتا ملؤه الاحتقار ، وعندما ضايقها هذا الصمت تحولت من امرأة شرسة إلى حاضنه ، تبذل جهدها وتتخذ صوتا عذبا ، تمشى على أطراف أصابعها ، تتعامل مع الأبواب بكل حذر ، وتعامل بول كشخص محدود الذكاء ، كأحد الأعمال التى فرضت عليها ، ضعيف مسكين ينبغي أن ترثى له .

فكرت أن تصبح ممرضة فى المستشفيات ، ستعلمها مارييت ، كانت تنفرد بنفسها عدة ساعات فى حجرة الاستقبال الجانبية مع التمثال النصفى ذى الشارب ، والقمصان الممزقة ، والقطن المندوف الذى يتشرب السوائل بسهولة ، وشاش الجراحة ، والدبابيس الإنجليزية . ونجد هذا التمثال النصفى من الجبس ذو العينين الزائغتين فى كل مكان ورأسه ملفوفة بالضمادات . وتموت مارييت

خوفا كلما دخلت حجرة أطفئت أنوارها ولحته فى الظلام .  
هنا الطبيب اليزابيث ، ولم يعد يأتى بعد هذا التحول .  
استمر الحال كذلك ، وكانت تكابر وعادت إلى شخصيتها ،  
لأن بطلينا لا يهتمان أبدا بالمظهر الخارجى ، فضلا عن ذلك لا  
يظهران هذا الاهتمام ، ولا يكثران بإظهاره . هذه الحجرة  
الجدابة المربعة أثاها بالخيال ، ويؤمنان بكراهيتها ، قررا أن  
يكون لكل منهما حجرة خاصة ، وكان لا يفكران فى استخدام  
هذه الحجرة الخالية . حقا إن اليزابيث فكرت فيها فى وقت ما ،  
ولكن ذكرى المتوفية المتزايد هناك مازال يخفيها كثيرا فى كل  
مكان ، تعللت بملاحظة المريض وظلت معه .

تضاعف مرض بول ، كان يشتكى من تشنجات ، جلس  
ساكنا بين الوسائد الموضوعة بمهارة ، كأنه فى مرصد ديدبان ، لا  
تصغى إليه اليزابيث ، وتضع سبابتها على شفيتها ، وتبتعد  
كرجل يعود ليلا ويعبر المدخل بجوربه وحذاءه فى يده . هنز بول  
كتفيه وعاد إلى اللعبة .

فى أبريل نهض ، لا يستطيع أن يقف ، تحمله بصعوبة ساقاه اللتان  
يحس بهما لأول مرة ، واليزابيث التى يضايقها بشدة أنه يتجاوزها  
بنصف رأس كاملة تعوض ذلك بسلوك قديسة ، فكانت تسانده  
وتجلسه وتضع له شاله ، وتعامله كعجوز فقد قوته وتفكيره .

يبدو أن بول يتبعها بالغريزة ، فى البداية حيره سلوك  
شقيقته الجديد ، والآن يتمنى أن يضربها ، ولكن طرق النزاع  
التي يمارسها منذ ميلاده جعلته يدرك السلوك المناسب ، ومع

ذلك كان هذا السلوك السلبي يداعب تكاسله . تغلى اليزابيث خفية من الغضب . فى هذه المرة أيضا ابتدعا نوعا من الصراع ، صراع سام مع وجود توازن .

لم يستطع جيرار أن يستغنى عن إيزابيث التى أخذت فى قلبه بطريقة غير محسوسة مكانة بول ، وللإنصاف ما كان يحبه لدرجة العبادة فى بول هو منزل شارع مونمارتر ، هو بول وإيزابيث . حول واقع الأحداث الأضواء من بول إلى إيزابيث التى لم تعد طفلة وأصبحت فتاة ، وانطلقت من السن الذى يسخر فيه الصبية من البنات إلى السن الذى يشير فيه الفتيات الصبية .

حرم جيرار من الزيارات ، حسب تعليمات الطبيب ، فأراد أن يستعيد ما فقد ، فأقنع خاله أن يصحب ليز والمريض إلى شاطئ البحر . كان خاله أعزبا ، ثريا ، أرهقته مجالس الإدارة ، تبنى جيرار ، ابن شقيقته ، الأرملة ، التى توقفت وقت ميلاده ، رعى الرجل الطيب جيرار وأوصى له بشروته ، وافق على الرحلة حتى يستريح قليلا .

كان جيرار ينتظر بعض الإهانات ، ولكن كانت دهشته بالغة ، فقد قابل قديسة وأبلها ، عبرا له عن امتنانهما ، وتساءل لو أن كلاهما لا يفكر فى دعابة ساخرة ، أو يعدان هجوما عليه ، بينما أنذره بريق سريع بين رموش القديسة ، ورعشة فى عضلة فتحتى أنف الأبله بأنهما بصدد لعبة . هذا السلوك الواضح تماما لم يلفت انتباهه ، وجد نفسه وسط موضوع جديد . إن مرحلة جديدة تمر بهم ، وعليه أن يتعود على إيقاعها . هنا نفسه لهذا

الموقف المجامل الذى ينبئ بإقامة لن يندم الخال عليها كثيراً .  
حقاً ، بدلاً من أن يخشى الخال هؤلاء الشياطين فقد أعجب  
بطبيعتهم الرزينة ، وكانت إليزابيث مصدراً للبهجة .  
تصنعت إليزابيث اللطف وقالت :  
- إنكم تعرفون أن أخى خجول بعض الشيء .  
تمتم بول بين أسنانه :  
- رفقا بى !

لكن ما عدا هذا التضرع الذى سمعه جيران بأذنه المصغية ،  
احتفظ الأخ الشاب بفمه مغلقاً .  
فى القطار كان يلزمهم قوة غير مألوفة حتى يسيطروا على  
الإثارة . هؤلاء الأطفال الذين لا يعرفون شيئاً فى العالم ، وتمثل  
عربات القطار فى عيونهم الرفاهية ، سيطروا على أنفسهم حتى  
يظهروا بأنهم متعودون على كل شيء ، ويساعدهم على ذلك  
رقتهم الطبيعية وحركاتهم وروحهم .  
طوعاً أو كرهاً ، ذكرتهم أسرة القطار بحجرة النوم ، وعرفا  
على الفور أنهما يفكران فى نفس الشيء ، « فى الفندق سيكون  
لدينا حجرتان وسريران » .

كان بول لا يتحرك . تستعرض إليزابيث بين رموشها صورة  
وجهه الجانبي الذى يميل إلى الزرقة تحت ضوء المصباح  
الضعيف . من نظرة لأخرى تبينت هذه التأمل المتعمقة أن بول  
منذ سياسة الوحدة التى كانت تعزله ، يميل لنوع من البلادة ،  
ولم يعترض هذه البلادة بأقل مقاومة . كان يثيرها شكل ذقنه



المسحوبة، ذات الزوايا الحادة بالنسبة لها. وغالباً ما تردد عليه «بول، ذقنك!» مثل الأمهات «اعتدل» أو «ضع يدك على المائدة، وكان يجيبها بشيء من الغلظة، وذلك لم يمنعه أن ينشغل بصورة وجهه الجانبي أمام المرأة.

السنة الماضية، تخيلت أن تنام وتضع مشبك ملابس على أنفها حتى تحصل على شكل وجه إغريقى، وكان رباط مطاط يقطع رقبة بول المسكين ويطبّع عليها علامة حمراء. بعد ذلك قرر أن يبدو بوجهه كاملاً أو ثلاثة أرباعه.

كان كلاهما لا يهتم بأن يعجب به أحد، ولا تعنى أحد هذه المحاولات الخاصة.

عندما تخلص بول من سيطرة دارجولو، وعاد لنفسه منذ صمت إليزابيث، امتنع عن الضوضاء الصاخبة التى تزكى الفوضى، واستسلم لميولها. لانت طبيعته الضعيفة. لقد خمنت إليزابيث بدقة كل هذا، واهتمامها الخفى يرصد أقل الإشارات، إنها تكره الشراهة التى تتلذذ بالمسرات التافهة، والصوت الصاخب، ولحس الشفاه باللسان وهذه الطبيعة النارية والباردة فى نفس الوقت لا يمكن أن تتقبل الطبيعة الفاترة. وكما فى رسالة إلى ملاك لادويسية<sup>(٢)</sup> : إنها تلفظ ذلك من فمها، إنها أصلاً حمقاء، حقاً حمقاء، فهى تحسد بول. وهذه البنت الصغيرة التى تسافر فى القطار السريع لأول مرة، بدلاً من أن تصفى إلى صوت الآلات الرتيب، تحمق فى وجه شقيقها، رفع الصياح الأحمق شعرها، شعرها المثير الذى يتطاير أثناء نعاس المسافرين.

## الهوامش

- ( ١ ) إقليم بريتانيا ، يقع غرب فرنسا .
- ( ٢ ) لادويسيه : مدينة في آسيا الصغرى في العصور القديمة ، وهي حالياً مدينة اللاذقية على الساحل السوري .



## (٦)

عند وصول الأطفال ، كان ينتظرهم خيمة أمل . عالم غفير اجتاح الفنادق . وخلاف غرفة الخال لم يعد هناك إلا غرفة واحدة في الطرف الآخر من المشى اقترحوا أن ينام فيها بول وجيرار ويقام سرير لاليزابيث في الحمام الملحق ، وانتهى الأمر بان تنام اليزابيث وبول في الغرفة وجيرار في الحمام .

منذ المساء الأول أصبح الموقف لا يحتمل ، أرادت اليزابيث ان تستحم ، وبول كذلك ، أدى غضبهما المكتوم وخداعهما ، وأبوابهما المصفقة التي تفتح فجأة مرة أخرى إلى الاستحمام وجهها لوجه . هذا الحمام الساخن ، حيث يطفو بول مثل نبات الماء ، وهو يضحك دون سبب وسط البخار ، يغيظ اليزابيث ويفتح أسلوب ضرب الأقدام ، في اليوم التالي استمر ضرب الأقدام على المائدة . فوق المائدة لا يرى الخال إلا الابتسامات ، ومن تحتها تدور حرب مستترة .

لم ت كن حرب الأقدام والمرافق هي السبب الوحيد للتحويل المتزايد ، إن جاذبية الأطفال مثيرة ، وأصبحت مائدة الخال مركزا لحب الاستطلاع الذي يتضح عن طريق الابتسامات ، كانت

اليزابيث تكره الارتباط بأحد، وتجتقر الآخرين، أو تفتن حتى الجنون بشخص من بعيد. حتى الآن كان افتتانها ينصب على الممثلين الذين يقومون بالأدوار الغرامية، وسيدات هوليوود الفاتنات اللاتي تغطي صور رؤوسهن الضخمة الملونة جدران الغرفة. لا يقدم الفندق أى شيء مثير، هناك عائلات كئيبة، بشعة، شرهة، وفتيات صغيرات نحيلات يلتزم من النظام بضربة يد من ذويهن، يلوين أعناقهن نحو المائدة الغربية، ويسمح لهن البعد أن يتابعن حرب السيقان وهدوء الوجوه، كما لو كان ذلك على مسرح قائم.

لم يكن الجمال بالنسبة لاليزابيث إلا مظهراً معبراً لقسمات وجهها ودقة أنفها والعطور والملابس غير المعقولة التي ترتديها ارتجالاً في وحدتها مع بعض أنواع الزينة. هذا النجاح لم يعد يفتنها، بل أصبح لعبة مسلية في حياتها. كان الطفلان يقولان بأنهما في أجازة من حجرتها «من سجن» وينسيان حنانها ولا يتحققان من إحساسهما لها، وتقديرهما لها أقل من تقدير ماريت ويتخيلان أنهما هربا عن طريق اللعب من زنزانة، كان يجب أن يعيشا فيها مفيدتين بنفس السلسلة.

بدأت اللعبة الصيفية في حجرة الطعام وعكفت عليها اليزابيث وبول رغم فزع جيرار، وتحت عيني الخال الذي لم ير أبداً إلا وجهيهما المتظاهرين بالتقوى.

كانت هذه اللعبة هي إفزاع الفتيات الصغيرات النحيفات بتغيير مفاجئ لقسمات الوجه المقرزة، ولذلك كان يجب انتظار

مصادفة استثنائية . بعد طول ترقب ، وأثناء لحظة غير متوقعة من الجميع وجهت إحدى الفتيات الصغيرات نظرها نحو المائدة ، وهي جالسة على مقعدها مشتتة التفكير ، رسمت اليزابيث وبول ابتسامة انتهت بتكشيرة وجه مخيفة ، أدارت البنت الصغيرة رأسها مندهشة ، اربكتها تعدد المحاوله ، وأثارت دمعها ، وشكت لأُمها . نظرت الأم إلى المائدة ، ابتسمت اليزابيث على الفور وابتسموا لها ، ولم تتحرك الضحية المصدومة المهانة . . سجلت ضربة مرفق من جيرار انتصارهما ، ولكن هذه الضربة كانت دليل مشاركة في الذنب وأدت إلى ضحكات جنونية . في حجرتهما انفجرا ضاحكين وكاد جيرار أن يموت من الضحك معهما .

ذات مساء ، كانت هناك طفلة صغيرة لم تؤثر عليها اثنتا عشرة حركة من الوجه واكتفت أن تضع انفها في طبقها وتخرج لهم لسانها دون أن يراها أحد وهم يغادرون المائدة . راقهم هذا الرد البديهي السريع الذي لطف الجو تماماً ، وردوا عليها بحركة مثلها . وكصائدى الحيوانات أو لاعبي الجولف تمتلكهم الرغبة في الاستمرار في مغامراتهم . أعجبوا بالفتاة الصغيرة ، وناقشوا اللعبة ، وعقدوا قواعدها ، وكان للسبب النصيب الأوفر فيها .

توسل إليهما جيرار أن يخفضا صوتيهما ، وأن يوقفا الصنابير التي تسيل مياهاها بلا انقطاع وألا يحاولا وضع رأسيهما كثيراً تحت الماء ، أو يتشاجرا أو يلاحق كل منهما



الآخر وهما يحركان المقاعد ويطلبان الغوث . انطلقت ضحكات ممقوتة وجنونية فى نفس الوقت ، فذلك إحدى عاداتهما فى تغيير أفكارهما ، ومن المستحيل أن يتوقع أحد اللحظة التى يتفق فيها هذان النقيضان المتشنعان ويصبحان جسداً واحداً . يتمنى جيران هذه الظاهرة ويخشاهم ، يتمناها من أجل الجيران وخاله ، ويخشاهم لأنها تجعل اليزابيث وبول يتحدثان ضده .

كبرت اللعبة سريعاً ، واتسع نطاقها فى البهو ، فى الشارع ، على الشاطئ وفى المسرح . أجبرت اليزابيث جيران على مساندتهما ، هذه الجماعة التى لا تطاق ، كانت تفترق ، تجرى ، تحبو تجلس القرفصاء ، تبتسم وتقطب وجهها مشيعة الرعب . تسحب العائلات أطفالهن ، ورقابهم ملتوية وشفاهم مدلاة وعيونهم زائغة . يصفقون الأبواب ، يضربون أردافهم ويحرمون الناس من متعتهم ويحجزونهم فى غرفتهم . ليس لهذه الكارثة نهاية دون اكتشاف تسلية أخرى .

هذه التسلية كانت السرقة . يجارى جيران كل من اليزابيث وبول دون أن يجروا على إظهار مخاوفه ، ولم تكن هذه السرقات إلا للتغيير ، فلم تكن بغرض المكسب أو رغبة فى شيء حرموا منه . يكفى أن يموتوا خوفاً . كان الأطفال يخرجون من المحلات التى يرتادونها مع الخال وجيوبهم مملوءة بأشياء ليس لها قيمة ولا تستخدم فى أى شيء . تمنع أصول اللعبة الاستيلاء على الأشياء المفيدة . ذات يوم أرادت اليزابيث وبول أن يلزما

جيرار بإعادة كتاب إلى مكانه لأنه كان باللغة الفرنسية، وأعفى جيرار من ذلك بشرط أن يسرق «شيئاً تصعب سرقة» وأصدرت اليزابيث أمراً «مثلاً رشاشة مياه» .

لف الطفلان جيرار المسكين بحرمة واسعة، وأنجز مهمته، وهو يحس بالموت في نفسه وكانت حالته يرثى لها، وانتفاخ الرشاشة غريب لدرجة أن تاجر الأدوات المنزلية كان يتابعهم لمدة طويلة بعينه وأصبح يؤمن بما هو غير مستبعد. همست اليزابيث «سر ! سر ! أيها الأحمق انه يرانا . وعلى ناصية الشارع حيث يكمن الخطر تنفسوا وفروا هاربين .

رأى جيرار في المنام ان سرطانا قرصه في كتفه وأن تاجر الأدوات المنزلية استدعى الشرطة وقبض عليه، وحرمة خاله من الميراث .

السرققات : حلقات الستائر، مفكات، قواطع للتيار الكهربائي، بطاقات، وأحذية من القماش مقاس ٤٠ ، كل هذا تكس في الفندق كنوع من نفائس المسافرين، لآلى مزيفة لبعض السيدات اللآتى يتجولن، ويتركن لألتهن الحقيقية في الخزانة الحديدية .

حقيقة سلوك هؤلاء الأطفال غير المهدبين، المتحمسين حتى الجريمة، العاجزين عن التمييز بين الخير والشر، كانت بالنسبة لاليزابيث غريزة تجعلها تعدل الميول المبتذل الذى تخشاه بالنسبة لبول من ألعاب هذه القرصنة . أما بول فقد أصبح متضايقاً، مضطرباً، متشنجاً، متسرعاً، بذيئاً، ولم يعد

يضحك للناس الطيبين . وسنرى إلى اى مدى ستطور اليزابيث  
سلوكها البديهي لإعادة طريقة تربيتها .  
عادوا . وبفضل ملح البحر الذى كانوا يشاهدونه شاردين ،  
استرجعوا قواهم ، وازدادت لياقتهم عشر مرات حتى أن  
مارييت تعرفت عليهم بصعوبة ، وقدموا لها حلية على شكل  
دبوس غير مسروق .

منذ ذلك الوقت أصبحت الحجرة كأنها مركب في عرض البحر، أشرعتها أكثر اتساعاً، وشحنتها أكثر خطورة، وأمواجها أكثر ارتفاعاً .

في عالم الأطفال الغريب، تستطيع السباحة على الظهر. وبسرعة. ويصبح البطء في هذه الحالة خطيراً كبطء وتأثير الأفيون وكذلك الإسراع لضرب رقم قياسي .

كان جيرار يبقى للنوم في شارع مونمارتر عندما يسافر خاله ليتفقد مصانعه. ينام على أكوام الوسائد ويتغطي بالمعاطف القديمة. وأمامه تطل الأسرة مثل خشبة المسرح، إضاءة هذا المسرح بمثابة تمهيد لمسرحية درامية تبدأ توالاً. في الواقع كان الضوء يوجد فوق سرير بول، وقد خفف من شدته بقطعة قماش حمراء. ملأت قطعة القماش الحجرة بالظلال الحمراء وتمنع اليزابيث أن ترى بوضوح. ثارت، نهضت ونزعت قطعة القماش، أعادها بول مرة أخرى، بعد صراع على جذب الخرقه بينهما انتهى استهلال المسرحية بانتصار بول الذي عامل أخته بوحشية، أعاد تغطية المصباح، لأن بول أصبح يسيطر على

شقيقته منذ كانا على شاطئ البحر . كانت مخاوف ليز حقيقة واقعة ، عندما شفى بول تبين لها نضجه لم يعد يقبل دور المريض ، فقد تحقق هدف العلاج المعنوى فى فترة وجوده بالفندق . عبثاً ما تقول : «السيد يجد كل شىء فى غاية المتعة ، فيلم ممتع ، موسيقى ممتعة ، مقعد ممتع ، شراب الرمان والشعير ممتع . احذري يا جيراف ، أنه يثير اشمئزازى ! انظر إليه ! انظر ، إنه يلحس شفتيه ! أنظر لرأس هذا الكسول !» ولم تدرك أن الرجل يمكن أن يتغير حتى فى سن الرضاعة . وكما فى سباق الجرى يفوز عليها بول بمسافة الرأس . وتعلن الحجرة ذلك . فمن أعلى ، كانت الحجرة تخص بول ، فلا يقوم بأى مجهود ليدرك بيده أو بعينه الأشياء التى يفكر فيها ، من أسفل كانت حجرة اليزابيث ، عندما تريد أغراضها ، تفتش ، وتنحنى فجأة وكأنها تبحث عن مbole (١) .

ولكنها لم تستمر فى خلق المتاعب واستعادت تفوقها المسلوب . كانت فيما مضى تتصرف بأسلحة صبيانية أما الآن فإنها تلجأ للوسائل ذات الطبيعة النسائية الجديدة تماماً والمعدة للعمل ، ولذلك تستقبل جيرار باهتمام ، فهى تدرك إنه من المفيد أن يكون هناك جمهور ، وأن عذاب بول سيكون أكثر حدة إذا كان هناك مشاهد .

يفتح مسرح الحجرة فى الساعة الحادية عشر مساءً ، ما عدا الأحد ، ولا يقدم عروضاً نهائية .

فى سن السابعة عشر تبدو اليزابيث أنها كذلك ، أما بول

فيبدو في التاسعة عشر بينما هو في الخامسة عشر . كان يخرج ، يتسكع ، يذهب لرؤية الأفلام الممتعة ويسمع الموسيقى الممتعة ، ويلحق الفتيات الممتعات ، وطالما أنهن فتيات فإنهن مغريات ويجدهن ممتعات .

عند عودته ، يصف مقابلاته ويضيف عليها نوعاً من الصراحة الفطرية المهووسة ، هذه الصراحة ، ومع عدم ذكر الرذيلة التي توحى بها ، أصبحت حسب قوله نقيضاً للوقاحة وقمة في الطهارة . كانت شقيقته تسأل وتسخر منه وتتقزز . فجأة صدمتها إحدى التفاصيل التي لا يمكن أن تصدم أحداً ، التزمت الوقار ، تناولت إحدى الصحف واختفت خلف أوراقها المفتوحة تماماً وبدأت قراءتها بدقة .

تعود بول وجيرار أن يتواعدا بين الساعة الحادية عشر ومنتصف الليل أمام محل لشرب الجمعة في مونمارتر . كانا عائدين معاً . تترقب اليزابيث صفقة الباب الشديدة وتسير طويلاً وعرضاً في المدخل وتكاد تموت من القلق .

أنذرها باب السيارة فغادرت موقعها ، جرت إلى الحجرة ، جلست وأمسكت مصقلة (٢) .

وجداهما جالسة ، وشبكة شعرها على رأسها ، تخرج لسانها قليلاً ، مستغرقة في تهذيب أظافرهما .

خلع بول ثيابه ، وأخذ جيرار رداء نومه ، جلس ، وأكل ، ودقت عبقرية الحجرة ثلاث دقائق .

نؤكد كذلك ، على أن أي ممثل في هذا المسرح ، وحتى ذلك



الذى يقوم بدور المشاهد لا يدرك أنه يؤدي دوراً فى المسرحية .  
يعود شباب هذه المسرحية الخالدة إلى عدم هذا الإدراك  
البديهي . ودون أن يرتابوا فى ذلك كانت المسرحية ( أو الحجرة  
إذا أردنا ) تتأرجح على حافة أسطورة .

تضفى قطعة القماش الحمراء على المنظر ظلالاً أرجوانية .  
يذهب بول ويجئ عارياً ، يعيد ترتيب فراشه ، ويبسط  
البياضات ، ويعد مرقب الديدبان بالوسادة ، ويضع دواءه على  
مقعد . تحديق اليزابيث فى شقيقها ، وهى متكئة على مرفقها  
الأيسر ، شفتاها رقيقتان ، وقورة كأنها تيودورا<sup>(٣)</sup> . بيدها  
اليمنى تحك رأسها حتى جرحت جرحاً خفيفاً . بعد ذلك دهنت  
هذه الجروح بمرهم تجميل سحبتة من إناء موزع على الوسادة .

قال بول :

- غبية !

وأضاف :

- لا شئ يقزز نفسى إلا منظر هذه الغبية ومرهمها . لقد  
قرأت فى صحيفة أن الممثلات الأمريكيات يسلخن جلودهن  
ويستغنين عن المراهم . إنها تعتقد أن ذلك مفيد لجلد الرأس .. يا  
جيرار !

- ماذا !

- اتسمعنى !

- نعم .

- جيرار ، إنك طيب أكثر من اللازم ، نم ، اذن ، لا تنصت لهذه

النوعية من الناس .

يعض بول شفتيه ، تلمع عيناه . كان هناك فترة سكون .  
أخيراً وتحت نظرة اليزابيث الندية ، الواسعة ، السامية ، يرقد  
على حافة السرير ويجرب أوضاع رقبتة ، ولا يتردد عن رفع  
البياضات ، عندما لا يجد الراحة الكاملة في فراشه .

عندما يبلغ هذه الراحة لا تستطيع أى قوة ان تزحزحه من  
مكانه ، يقوم بأكثر من ذلك ، يتعطر ، ويحيط نفسه باللفائف  
والغذاء والأواني المقدسة ، يرحل عند الأشباح .

تنتظر اليزابيث الاستعداد الذى يقرر دخولها على المسرح  
ويبدو غير معقول انهم استطاعوا أن يمثلوا هذه المسرحية كل  
ليلة خلال أربع سنوات دون حل خيوطها . فالمسرحية تبدأ دائماً  
من جديد ما عدا بعض التنقيح . وتخضع هذه النفوس غير  
المهذبة لنظام ما ، وتؤدي عملاً مشيراً مثل ذلك العمل الذى يقفل  
أوراق الأزهار ليلاً .

كان التنقيح يتم عن طريق اليزابيث ، فتعد المفاجآت . مرة ،  
تخلت عن دهان الوجه وانحنى على الأرض وسحبت من تحت  
السرير سلطانية سلطة من الكريستال ، هذه السلطانية تحتوى  
على سرطان البحر<sup>(٤)</sup> ، احتضنتها فى صدرها وأحاطتها  
بذراعيها الجميلتين العاريتين وتنقل نظراتها الشرهة بين  
سرطان البحر وشقيقها .

- جيرار ، سرطان بحر ! أجل ، أقبل ، أقبل ، إنه يثير لعب  
الفم .

كانت تعلم مـيـول بول للفلفل ، والسكر ، وسلطة  
الخردل<sup>(٥)</sup> ، يأكلها على كسرات الخبز .

نهض جـيرار ، خشى أن يغضب الفتاة ، همس بول :  
- قذارة ! إنها تكره سرطان البحر ، وتكره الفلفل ، وتجبر  
نفسها على ذلك وتثير لعاب فمها عمداً .

امتد مشهد سرطان البحر لدرجة أن بول لم يعد يهتم  
بذلك ، ثم توصل إليها أن تعطيه واحداً ، وحينئذ جعلته تحت  
رحمتها وعاقبت هذه الشراة التي تكرهها .

- جـيرار ، أتعرف شيئاً أكثر دناءة من شخص فى سن  
السادسة عشر ينحنى ليطلب سرطان البحر انه يتذلل ، أنت  
تعلم ، ويمشى على أربع . لا ! لا تعطيه إياه ، فلينهض ويأتى !  
أخيراً إنه كـريه ، هذا المخبول الذى يرفض أن يتحرك ، وينفجر من  
النهم ولا يستطيع أن يقوم بأى مجهود . ولأنى أخجل له أرفض  
أن أعطيه سرطان البحر ..

تتابعت الهواجس ولم تدعها اليزابيث جانباً إلا فى المساء  
عندما شعرت بأنها فى أحسن حال ، استسلمت لله ، وجلست  
على مقعد ذى ثلاث أرجل .

سد بول أذنيه ومسك كتاباً وقرأ بصوت مرتفع . كان لسان  
سيمون وشارل بودليير<sup>(٦)</sup> شرف هذه الجلسة . بعد هذه  
الهواجس ، قال :

- اسمع يا جـيرار .

واستمر فى قراءته بصوت مرتفع .

\* أحب ذوقها السيء وثوبها ذا الألوان غير المتجانسة .

\* وشالها الكبير المتعثر ، وكلامها الشارد .

\* وجبهتها الضيقة (٧) .

انشد هذا المقطع من الشعر البديع غير مدرك أنه يصور  
الحجرة وجمال اليزابيث .

تناولت اليزابيث صحيفة وبصوت يكاد يعلو صوت بول  
قرأت الأحداث الجارية ، صاح بول : « كفى ، كفى ! » استمرت  
شقيقته تقرأ بصوت عال .

عندئذ ، انتهز أن المجنونة لا تستطيع أن تراه من خلف  
الصحيفة ، مد ذراعه ، وقبل أن يستطيع جيرار أن يتدخل ، قذفها  
باللبن بكل قوة .

- الحقير ! الشرس !

اختنقت اليزابيث غيظاً . التصقت الصحيفة على جلدها  
كخرقة مبللة وتقاطر اللبن في كل مكان . كان بول يأمل أن تصاب  
بنوبة شديدة من الدموع ولكنها تماكنت نفسها ، وقالت :

- امسك يا جيرار ، ساعدنى ، خذ الفوطة ، جفف ، خذ الصحيفة  
إلى المطبخ . وهمست ، أما أنا فسأعطيه سرطان البحر .. أتريد  
واحداً . احذر ، إن اللبن يسيل . الفوطة معك ؟ شكراً .

استرجاع موضوع سرطان البحر انتاب بول عند اقتراب  
النعاس ، فلم يعد يرغب فيه . ترك هذا الموضوع ، وقلت شهيته التي  
خفت متاعبه وسلمته مقيد القدمين واليدين لنهر الأموات .

كانت هذه هي اللحظة الهامة التي وضعت فيها اليزابيث

كامل طاقتها الاشمئزازية . لكي تمنعه من النوم ، لقد جعلته ينام رافضة أن تعطيه شيئاً ، وأخيراً نهضت واقتربت من السرير ووضعت السلطانية على ركبتيه .

- هيا ، أيها الحيوان القذر أنا لست شريرة ، ستنال نصيبك من سرطان البحر .

رفع المسكين رأساً ثقيلة من عز نومه ، وعيناه مقفولتان ، ومنتفختان وفمه لم يعد يتنفس هواء البشر .

- هيا ، كل . انك تريده ولا تريده . كل ، أو سأرحل .

حينئذ فتح بول شفثيه وكأنه شخص قطعت رأسه ويحاول ان يستعيد صلته بالعالم .

- يجب أن تراه حتى تصدق . هيه ! بول ! هيه ! سرطان البحر ! كسرت قشرة السرطان ودفعت اللحم بين أسنانه .

- انظر يا جيرار <sup>(٨)</sup> ! إنه يمضغ وهو نائم . انظر ، هذا شيء غريب جداً . يا لها من شراهة ! كم هو بشع .

تابعت اليزابيث عملها وهي تتظاهر باهتمام خاص ، اتسعت فتحتا أنفها وأخرجت لسانها . رزينة ، صبورة ، وهي مقوسة الظهر تشبه مجنونة ترسم طفلاً ميتاً .

من هذه الجلسة المفيدة ، لم يحصل جيرار إلا على شيء واحد ، لقد رفعت اليزابيث الكلفة في مخاطبته .

في اليوم التالي ، حاول أن يخاطبها بدوره دون تكلف كان يخشى من صفة يتلقاها ، ولكنها تقبلت رفع الكلفة المتبادلة بينهما وأحس جيرار بلطف بالغ .

## الهوامش

- ( ١ ) وعاء لقضاء الحاجة الليلية .
- ( ٢ ) آلة لتهديب الأظافر .
- ( ٣ ) إمبراطورة بيزانطية ، ولدت سنة ٧٢ ق.م. وزوجة الإمبراطور جوستيان الأول .
- ( ٤ ) يشبه الجمبرى .
- ( ٥ ) مستاردة .
- ( ٦ ) شعراء فرنسيين .
- ( ٧ ) ثلاثة أبيات من الشعر لشارل بودلير .
- ( ٨ ) بدأت تخاطب جيرار، أنت (Tu) وليس سيادتك (Vous) .





كانت ليالى الحجرة تمتد حتى الساعة الرابعة صباحاً، وذلك يؤخر وقت الاستيقاظ. حوالى الساعة الحادية عشرة تحضر مارييت القهوة باللبن يتركها تبرد، ويعودان للنوم. عند استيقاظهما مرة أخرى تفقد القهوة باللبن البارد جاذبيتها. عند استيقاظها مرة ثالثة لا ينهضان، ويمكن أن تتجمد القهوة باللبن فى الفناجيل، وحينئذ يفضلان إرسال مارييت إلى مقهى شارل التى فتحت منذ قليل اسفل العمارة، وتصعد بالشطائر والمشروبات الشهية.

تفضل البريتانية<sup>(١)</sup> بالتأكيد أن يتركونها لتقدم لهما طعامها البسيط اللذيذ، ولكنها تتراجع وتوافق عن طيب خاطر على هوس الصبيان.

احيانا تدفعهما بقوة وتحثهما إلى المائدة، وتقدم لهما الطعام غصباً.

وضعت اليزابيث معطفاً على رداء نومها، جلست حاملة، متكئة على مرفقها، ويدها على خدها. كل أوضاعها هي أوضاع السيدات اللاتى يحتذى بهن واللاتى يقدمن العلم،

والزراعة والتحليل النفسى للأنا، يتأرجح بول على مقعده، وهو يكاد يرتدى ملابسه. يأكل كل منهما فى سكون كمهرجين متنقلين بين عرضين مسرحيين. يشغل عليهما النهار، ويجدانه فارغاً، ويجذبهما تيار نحو الليل، نحو الحجرة حيث يبدأ الحياة مرة أخرى .

تستطيع مارييت أن تقوم بالتنظيف دون الإخلال بهذه الفوضى. من الساعة الرابعة حتى الخامسة تخطط فى الحجرة التى على الناصية وقد حولتها إلى مخزن بياضات. فى المساء تعد وجبة دسمة وتعود لبيتها. كان ذلك هو الوقت الذى يتجول فيه بول فى الشوارع الخاوية باحثاً عن فتيات تشبهن فتيات قصائد بودلير<sup>(٢)</sup> .

تظل اليزابيث وحدها فى المنزل، وتعود لعاداتها المتعالية منزوية بجانب الأثاث، ولا تخرج إلا لشراء مفاجأتها. وتعود بسرعة لتخفيها، تتجول من حجرة لأخرى، متقرزة من انحراف مزاجها بسبب الحجرة التى ماتت فيها سيدة، دون أى علاقة بأمها التى تعيش فى داخلها .

ازداد انحراف مزاجها عند الغروب وعندئذ دخلت الحجرة التى يجتاحها الظلام، وقفت معتدلة فى وسطها. أصبحت الحجرة معتمة وتغوص فى الظلام. تترك اليتيمة نفسها تتلاشى، عيناها ثابتتان، ويدها متدليتان، واقفة كربان على متن سفينة .

## الهوامش

- ( ١ ) مارييت من أقليم بريتاني .
- ( ٢ ) قصائد بودلير التي يتحدث فيها عن النساء .



هناك مثل هذه المنازل وهذه الحياة التي تذهل العقلاء الذين لا يدركون ، على ما يبدو ، أن الفوضى التي يجب أن تستمر على الأكثر خمسة عشر يوماً يمكن أن تستمر عدة سنوات . توجد هذه المنازل وتلك الحياة المريبة تماماً ، العديدة والفاصلة ، على غير ما نتوقع ، ولكن هنا لا يخطئ العقل فإن قوة الأمور ، إذا كانت شديدة ، تسرع بها نحو الانهيار .

إن الأشخاص غريبو الأطوار وتصرفاتهم غير الاجتماعية تجذب العالم اجمع الذي ينكرها . إننا نقلق للسرعة التي تنتج عن العاصفة ، والتي تتنفس فيها هذه الأرواح المفجعة الطائشة ، وذلك يبدأ بالألعاب الصبائية ، ولا نرى فيها أولاً غير أنها مجرد ألعاب .

هكذا مرت ثلاث سنوات ، وشارع مونمارتر على نفس التواتر الممل الحاد الذي لا يفتر أبداً . استمرت اليزابيث وبول ، اللذان خلقا للطفولة ، في حياتهما كما لو كانا توأمين في المهد . كان جيرار يحب اليزابيث ، واليزابيث وبول يحبان بعضهما حتى العبادة وينشقان على بعضهما كل خمسة عشر يوماً ،

وبعد مشهد يحدث ليلا، تجهز اليزابيث حقيبتها وتعلن أنها ستعيش فى الفندق .

نفس الليالى العنيفة، ونفس فى فترات الصباح المملة، ونفس فترات بعد الظهر الطويلة التى يصبح خلالها الطفلان محطمين، يلزمان الحجرة وينامان فى وضوح النهار كالخلد (١) . يحدث أن تخرج اليزابيث وجيرار معا ويذهب بول للمذاته، ولكن ما يرونه ويسمعونه لا ينتمى لهم شخصيا، إنهم عبيد لقانون صلب، ينقلون ذلك إلى الحجرة حيث يتصرفون كما يحلو لهما .

لا يدرك هذان اليتيمان أن الحياة كفاح، وأنهما يعيشان فى حالة هروب، وأن القدر يتسامح معهما ويتغاضى عنهما، ويجدان أنه شىء طبيعى أن طبيهما وخال جيرار يسهلان لهما الحياة .

إن الثراء استعداد شخصى، وكذلك الفقر، فالفقير الذى يصبح ثريا يجلب الفقر المدقع، لقد كانا ثريين بما فيه الكفاية، لدرجة أن أى ثراء لا يمكن أن يغير حياتهما، تأتيهما الثروة وهما نائمين، لا يحسان بها عند الاستيقاظ .

لا يؤمنان بالادعاء بأن الحياة ليست سهلة، وأن الأخلاق ليست دمثة، ودون إدراك، يمارسان عمليا « هذه القدرات الرائعة للحياة السلسة التى تفسد العمل بطريقة ما»، والتى يتحدث عنها أحد الفلاسفة .

لا يشغل بالهما مشروعات المستقبل أو الدراسة أو الوظيفة



أو السعى، أكثر مما يحاوله كلب مرفه لحراسة الخراف، فى الصحف يقرآن الجرائم، كانا من هؤلاء الذين يزيّفون المثل، والذين تشكّلهم مدينة سيئة مثل نيويورك ويفضلون الحياة فى باريس .

لذلك لم يحسم أى اعتبار عملى الموقف المفاجئ الذى أدركه كلا من جيرار وبول عن اليزابيث .

قررت أن تعمل، لديها الكثير عن حياة مربية الأطفال، فليعمل بول ما يحلو له . لقد بلغت من العمر تسعة عشر عاماً، وتذبل شيئاً فشيئاً ولن تستمر أكثر من ذلك يوماً واحداً . كانت تردد .

- إنك تدرك يا جيرار أن بول غير ملتزم، وفضلاً عن ذلك، غير جدير بأى شيء، ليس له وجود، أنه حمار، ابله، ويجب أن اتصرف وحدى . ومع ذلك ماذا يمكن أن يصبح إذا كنت لا أعمل؟ سأعمل، وسأجد وظيفة، ينبغي ذلك .

فهم جيرار، أدرك الآن تماماً . هناك سبب غير معروف يسيطر على الحجرة . يسمع بول المخطط الذى يستعد للانسحاب، هذه الإهانات الجديدة، المعلنة بطريقة خطيرة . استطردت :

- صبي مسكين يجب مساعدته، مازال مريضاً، أنت تعرف أن الطبيب .. ( لا، لا يا جيرار، أنه نائم )، أقلقنى الطبيب كثيراً، تصور أن كرة الثلج تكفى لإسقاطه، وتجعله يترك درساته . هذا ليس خطأه، ولا أوجه له أى لوم، ولكنه عاجز

وأتحمل مسئوليته !

-الكريهة، أوه ! الكريهة .

فكر بول وهو يتظاهر بالنوم ويظهر انفعاله من تشنجاته .  
كانت اليزابيث تراقبه ، سكتت ، وكخبيرة فى التعذيب ،  
بدأت تطلب النصيحة وتشفق عليه .

كان جيرار يقارن بينها وبين بول من حيث وجهه الجميل ،  
وقامته ، وقوته ، كانت تجيب بضعفها ، وتلهفها وتخاذلها .  
عندما أصبح غير قادر على السيطرة على نفسه ، بدأ يتحرك  
وتظاهر بأنه يستيقظ . تساءلت بصوت رقيق إذا كان يرغب أى  
شئ ، وغيرت حديثها .

كان بول يبلغ من العمر سبعة عشر عاما ، ومنذ السادسة  
عشر يبدو كأنه فى العشرين . لم يعد يكفيه سرطان البحر  
والسكر . رفعت شقيقته نبرة صوتها .

ادعاء النعاس وضع بول فى موقف غير لائق ، لدرجة أنه  
فضل الشجار . انفجر . وفى الحال اشتدت شكوى إيزابيث  
حتى السب ، فقد كان خموله غير معقول ودنى ، يزعج شقيقته  
التي كانت تراعيه .

مقابل ذلك ، أصبحت إيزابيث متبجحة ، غريبة ، حمقاء ،  
غير جديرة بالعطاء أو عمل أى شئ مهما كان .

اضطرت إيزابيث ، كإجراء انتقامى سريع ، أن تنتقل من  
الأقوال للأفعال . توصلت لجيرار أن يتوسط لها لدى دار كبيرة  
للخياطة يعرف مديرتها ، ستكون بائعة ، ستعمل .

اصطحبها جيران لمقابلة الخياطة التى ذهلت لمثل هذا الجمال .  
للأسف مهنة البائعة تتطلب معرفة اللغات ، ولا يمكن أن تقبلها  
إلا كعارضة أزياء . كان لديها من قبل فتاة يتيمة ، آجات ، عهدت  
إليها بالفتاة التى ليس لديها شىء يخشى بالنسبة لبيئتها .  
- بائعة ؟ عارضة أزياء ؟ لم تجد إليزابيث أى فرق . على  
العكس . عندما اقترح عليها أن تكون عارضة أزياء كان ذلك  
بمثابة عرض للظهور على المسرح ، وتمت الصفقة .  
كان لهذا التوفيق نتيجة غريبة .

توقعت :

- إن بول سيتضايق .

وهكذا ، دون أى محاولة تمثيلية ، غضب بول غضباً شديداً ،  
مدفوعاً بأى أسباب وقائية لا ندرى ، معبرا بحركاته ، صائحا  
بأنه لا يتحمل أن يكون شقيق عاهرة ، وكان يفضل أن تمارس  
البغاء فى الطريق العام .

أجابت إليزابيث بحدة :

- سأقابلك هناك لا أهتم بذلك .

ضحك بول متهكما :

- ومع ذلك ، أنت لا ترين نفسك ، يا ابنتى المسكينة ،  
ستكونين أضحوكة . بعد ساعة سيطردونك بضربة قدم فى  
مؤخرتك . عارضة أزياء ؟ لقد أخطأتى العنوان . كان يجب أن  
تعملى كخيال ظل لإخافة الطيور .

كانت حجرة عارضات الأزياء كئيبه جافة ، توجد فيها كآبة

اليوم الأول فى الدراسة، ومداعبات الطلبة. بعد أن اجتازت إيزابيث الكثير من عدم التوفيق، أصبحت موضوع الحديث، تحت الأضواء. كانت تعتقد أنها قبيحة وتتوقع ما هو أسوأ. جرح جمالها الجسدى الفتى هؤلاء الفتيات المصبوغات المجهدات، ولكنها أوقفت سخريتهن، غاروا منها وأداروا لها ظهورهن. أصبحت هذه المقاطعة غير محتملة. حاولت إيزابيث تقليد رفيقاتها، كانت تراقب تأثير مشيتها على صاحبة العرض، وكأنها تطلب منها إيضاحاً علنياً، وأحياناً فى وجودها، تدير لها ظهرها بمظهر احتقار. إن سلوكها غير مفهوم، جعلوها ترتدى ثياباً متواضعة تكبح شهوات جسدها، تفوقت على آجات .

جمعت اليتيمتين محبة محتومة، رقيقة، مازالت غامضة بالنسبة لإيزابيث قلقهما متشابه. فى فترة ما بين ارتداء الملابس، تلبسان ثياباً فضفاضة بيضاء، وتسترخيان فى الفراء، وتبادلان الكتب والأسرار، وتدفئان قلوبهما .

حقاً، كما تتوافق فى المصنع حجرة صنعها عامل فى الطابق الأرضى مع حجرة صنعها عامل آخر فى الطابق الأخير، دخلت آجات حجرة إيزابيث دون صعوبة .

كانت إيزابيث تتمنى بعض المقاومة عند شقيقتها لدخول آجات عندها، استدركت «أنها تحمل اسم كرة من العقيق»<sup>(٢)</sup>، وأعلن بول أنها تحمل اسماً مشهوراً يتوافق مع القافية مع كلمة عقاب البحر<sup>(٣)</sup>، فى واحدة من أجمل القصائد التى عرفوها .

## الهوامش

- ( ١ ) حيوان من أكلة الحشرات يلزم دائما جحره أثناء الليل .
- ( ٢ ) آجات ( **Agathe** ) : وتنطق مثل كلمة ( **Agate** ) بمعنى كرة من العقيق .
- ( ٣ ) طائر عقاب البحر ويسمى ( **Frégate** ) والفتاة تسمى ( **Agathe** ) فنجد قافية بين المقطعين الأخيرين ( **gath - gate** ) .



## (١٠)

إن القوة الآلية الطبيعية التي حولت جيران من بول إلى إيزابيث ، حولت آجات من إيزابيث إلى بول ، وهذا مثال قلما يحدث . كان بول يحس بالانفعال فى وجود آجات . وحسب قدرته على التحليل ، أدرج اليتيمة بين الأشياء الممتعة .

وهكذا دون أن يدري بدأ يحول نحو آجات كل الأحلام المهمة التي كان يكرسها لدار جولو .

لقد أحس بهذا الاكتشاف المذهل ذات مساء بينما الفتاتان تزوران الحجرة .

عندما كانت إيزابيث تعرض الكنز ، استولى على آجات فرع شديد كفزع أتالى <sup>(١)</sup> وصاحت :

- أليكم صورتي ؟

قالت ذلك بصوت غريب حتى إن بول رفع رأسه من تابوته ناهضا على مرفقيه مثل شباب مدينة أنتنويه <sup>(٢)</sup> المسيحى .

قالت إيزابيث :

- هذه ليست صورتك .

- صحيح ، الملبس لا يشبه ملبسى ، ولكن هذا شئ لا يصدق .



سأخذ هذه الصورة، إنها هي بالضبط، إنها أنا، أنا، من تكون .  
- إنه صبي، يا عزيزتى . إنه زميل مدرسة كوندورسيه الذى  
ضرب بول بكرة من الثلج . . إنه يشبهك، هذا صحيح .  
بول، هل آجات تشبهه ؟

بمجرد أن تذكر الشبه غير الملحوظ الذى لا ينتظر إلا فرصة  
حتى يظهر، تعرف جيرار على الوجه الجانبى المشثوم . استدارت  
آجات نحو بول تاركة له حرية التصور، وفى انعكاس الضوء  
الأرجوانى رأى بول دارجولو ملوحاً بالثلج، ويتلقى نفس  
اللطمة .

ترك رأسه تتدلى وقال بصوت مخنوق :  
- لا، يا فتاتى، إن الصورة تشبهك أما أنت فلا تشبهينه .  
أقلقت هذه الأكذوبة جيرار، فالتشابه يفتأ العين .  
فى الحقيقة لم يحرك بول أى ثورة بركانية فى نفسه، كان  
لهذا الرقاد العميق تأثير بالغ فى نفسه ويخشى سوء عاقبته .  
توقفت المتعة فى فوهة هذا البركان وبخرتها غازاته المذهلة .  
منذ ذلك المساء، نسج قماش بخيوط متشابكة بين بول  
وآجات . انتقم الزمن فقلب الامتيازات . إن دارجولو المعتز  
بنفسه الذى كان يمس القلوب بحب لا يقاوم تحول لفتاة خجولة  
يسيطر عليها بول .

ألقت إليزابيث الصورة فى الدرج . فى اليوم التالى وجدتها  
على المدفأة، تجهمت، لم تنطق ببنت شفه . كانت تفكر فقط .  
تحت الضوء الشاعرى، لاحظت أن جميع المجرمين والمخبرين

السريين، وجميع نجوم السينما الأمريكية الذين ثبتهم بول بدبابيس على الحائط يشبهون اليتيمة ودارجولو فى دور أتالى . ألقى بها هذا الاكتشاف فى قلق لا تستطيع تفسيره وأطبق على أنفاسها . قالت لنفسها : هذا كثير ، إنه يناور ، إنه يخادع ، وبما أنه يخادع فإنها ستخادع مثله . ستتقرب من آجات ، وتهمل بول ، ولن تبدى أى فضول .

كان الجو الأسرى لأشخاص الحجرة يتسم بالصراع . وقد أندهش بول عندما أخبروه بهذه الملحوظة . إن الشخص الذى كان يتبعه هو يلاحقه الآن بطريقة غامضة ، ويؤمن بأنه ليس غاضباً من ذلك . وهكذا فإن التأثير الذى يمارسه هذا الشخص عليه دون أن يدري ، والتأثير الذى يمارسه هو ، بول ، على شقيقته يتعارضان فى اضطرابهما فى خطين مستقيمين تماماً . يتجه كل منهما نحو الآخر مثل خطين متباعدين عند القاعدة ويلتقيان من أعلى على شكل زخارف يونانية .

تقاسمت آجات وجيرار الحجرة غير اللائقة التى اتخذت شيئاً فشيئاً مظهر معسكر للبوهيميين<sup>(٣)</sup> ينقصهم الجواد وليس الأطفال الذين يرتدون الملابس الرثة . اقترحت إليزابيث أن تأوى آجات ، وجهزت لها ماريت الحجرة الخالية التى لا تشير ، بالنسبة لها ، أى ذكريات محزنة . كانت «حجرة الأم» كئيبه عند رؤيتها ، وعندما يتذكرون وينتظرون قدوم الليل وهم واقفون . أضيئت الحجرة ونظفت ، ويمكن الإقامة فيها فى المساء .

نقلت آجات ، بمساعدة جيرار ، بعض الحقائق . إنها تعرف سابقا العادات ، والسهرات ، والنوم ، والاختلافات ، والعواصف ، والهدوء ، ومقهى شارل وشطائره .

كان جيرار يبحث عن الفتاتين عند خروج عارضات الأزياء . تتسكعان أو تعودان إلى شارع مونمارتر . تترك لهما مارييت عشاءً باردًا ، تأكلان في أى مكان ما عدا المائدة ، وفي اليوم التالي تبدأ البريتانية في حصد قشر البيض .

أراد بول أن ينتهز بسرعة فرصة الانتقام التى هياها له القدر . وبما أنه عاجز عن القيام بدور دارجولو وتقليد عجرفته ، فإنه استخدم الأسلحة القديمة الموجودة فى الحجرة . أى أنه يعذب آجات بشدة ، وترد عليه إليزابيث بدلا منها . وهكذا يستغل بول آجات المتواضعة لكى يسىء لشقيقته بطريقة غير مباشرة . هناك أربعة يتامى منتفعين : إليزابيث التى اكتشفت وسيلة لتعقيد حوارهم ، وجيرار الذى تركوه ليسترد أنفاسه ، وآجات المفتونة بوقاحة بول ، وبول نفسه ، والوقاحة تؤدى إلى النفوذ ، ولكنه لن يستفيد أبدا من هذا ، فهو ليس دارجولو ، إذا لم تكن آجات سببا لإهانة شقيقته .

تستمتع آجات بأنها ضحية ، وتحس أن هذه الحجرة مفعمة بشحنة الحب الذى مازالت هزاته العنيفة غير مهينة وعطر الأوزون <sup>(٤)</sup> دائم فيها .

كانت آجات فتاة من مدمنى الكوكايين الذين يعاملونها بشراسة وينتحرون بالغاز . كان يسكن العمارة مدير دار كبيرة

للأزياء، استدعاها، واصطحبها عند صاحبة الدار. بعد عمل ثانوى أذن لها بعرض الملابس. أصبحت ماهرة فى الخداع، والإهانة، والألاعيب السخيفة. غيرها أصحاب الحجرة، وأثاروا الأمواج المتلاحقة والريح العاصفة المثيرة التى تنزع ملابس الراعى .

رغم هذا التفاوت، دربتها دار للمخدرات على المهانة والتهديد ومواصلة تحطيم الأثاث واللحوم الباردة التى تأكلها ليلاً. فى شارع مونمارتر، لا شىء يدهشها مما يمكن أن يصدى شعور فتاة، فقد تخرجت من مدرسة قاسية وطبع نظام هذه المدرسة حول عينيها وفتحت أنفها نوعاً من الشراسة التى يمكن أن نحس فيها، فى بادئ الأمر، بعجرفة دارجولو .

فى الحجرة، ارتفعت، بطريقة ما إلى قمة العذاب، تعيش، تعيش وتتنفس، لا شىء يقلقها ولا يزعجها أبداً إلا أصدقائها الذين لا يلجأون إلى المخدرات، فهم يتصرفون تحت تأثير مخدر طبيعى قوى. وتناول المخدرات بالنسبة لهم هو وضع الأبيض على الأبيض والأسود على الأسود .

ومع ذلك وصل بهم الأمر إلى أن يكونوا فريسة للهذيان. وتسود الحجرة حمى المرايا المشوهة. حينئذ تكتب آجات. وتتساءل لو أن المخدر الغامض ليس ضرورياً حتى تكون طبيعية، وهل لا يؤدي كل مخدر إلى الاختناق بالغاز .

طردت قلة الهموم واستعادة الوزن شكوكها، طمأنتها . ولكن المخدر موجود، فقد ولدت إليزابيث وبول وهما

يحملان في دمائهما هذه المادة الخرافية . تبدأ المخدرات خلال فترات مختلفة ، ويتغير شكلها . هذا التغيير المفاجئ ، وهذه المراحل المختلفة في سياق هذه الأحداث الغريبة لا تحدث مرة واحدة . وأدى هذا الانتقال غير المحسوس إلى منطقة متوسطة من الاضطراب ، وتسير الأمور في اتجاهات مضادة حتى تظهر نوايا جديدة .

بدأت اللعبة تقل رويدا رويدا في حياة إليزابيث ، وكذلك في حياة بول ولم يعد لجيرار ، الذي شغف بإليزابيث ، أي دور فيها ، وكذلك حاول الأخ وشقيقته ، وانزعجا لأنهما لم ينجحا في ذلك . لم ينسحبا من اللعبة ، يحسان أنهما شاردان ، مضطربان في أحلامهما . حقا انصرفا إلى شيء آخر ، وامتنعا عن التصرفات التي تظهرهما غاضبين . كانا يسميان المرحلة الجديدة التي تعيدهما إلى نفسيهما بمرحلة التسلية ، كما حلت الحبكة الدرامية عند راسين<sup>(٥)</sup> محل الأجهزة التي كان يستعملها هذا الشاعر ليحضر وينقل آلهة احتفالات قصر فرساي .

أصبحت حفلاتهما غير منتظمة ، غاصا في أعماقهما لطلب نظام ليسا جديرين به ولم يقابلا إلا الظلمات وأوهام الشاعر . كان بول يصيح بصوت غاضب : « زفت ! زفت ! » يرفع كل منهما هامته استكبارا ، بول ساخط لأنه لا يستطيع أن يصل إلى هذه الأوهام ، وكلمة « زفت ! » هذه توضح استياءه عندما يتذكر سلوك آجات الذي أوقفه عند بداية اللعبة ، واعتبرها مسؤولة

عن ذلك ووجه ضدها انحراف مزاجه . كان سبب هذا الهجوم المفاجئ بسيطا حتى إن بول تنبه له في قرارة نفسه وإليزابيث ظاهريا . حاولت إليزابيث ، من جانبها ، أن تهرب وتغير سلوكها ، غارقة في تأملات مشوشة ، تمسكت بهذه الحجة بسرعة لتخرج من أعماقها . خدعتها ضغينة بول العاشقة ، قالت في نفسها : «إن آجات تثيره لأنها تشبه هذا الشخص الآخر» ، كان هذا الثنائي غير قادر على التفاهم ، ويبدل سلفا مهارة في حل المشاكل المعقدة ، واستأنف من خلال آجات حوار الجارج .

عند الإفراط في الصياح يبح صوتنا . خف الحوار ، انقطع ، وعثر الغريمان على فريسة ذات حياة حقيقية تتجاوز حلمهما ، وتغيرت حياة الطفولة الحاملة المملوءة فقط بالأشياء غير الضارة .

أى غريزة محيرة للحوار ، وأى انفعالات نفسية استطاعت أن تجعل يد إليزابيث تتردد يوم أن أودعت دارجولو في خزانة الأشياء الثمينة ؟ دون شك كان ذلك مصدر الغريزة والانفعال اللذان دفعا يوما ما بول حتى يصيح : «وضعه» ؟ بصوت حذر مستاء ، يتفق مع ضيقه الشديد ، رغم أن الصورة لم تكن غير مؤذية . استعرض بول الموضوع كشخص انكشف أمره واعترف بجريمته واتخذ مظهرا مرحا واختلق خدعة تافهة . ارتضت إليزابيث ذلك دون حماس ، وغادرت الحجرة وهى تقوم بإيماءة ساخرة تعنى أنها تعرف الكثير عن ذلك وحتى تحير بول

وجيرار فى حالة ما إذا تأمرا ضدها .  
يبدو أن هدوء الدرج قد أثر ببطء، وبطريقة سيئة على  
الصورة، ولم يكن غريبا أن يشبهها بول، وهى بيد آجات،  
بكرة الثلج الغامضة .



## الهوامش

- ( ١ ) أتالى : ملكة اليهود قبل الميلاد . تملكها الفرع لقتل ابنها .
- ( ٢ ) أنتنويه : اسم قديم بمدينة طيبة فى مصر القديمة .
- ( ٣ ) البوهيمى أو الفجرى يعيش يومه ولا يهتم بالغد وينتقل من مكان لآخر مستخدما الجواد .
- ( ٤ ) نوع من الأكسجين ذو رائحة قوية ، يستخدم فى تطهير المياه .
- ( ٥ ) شاعر فرنسى كتب المسرحيات الدرامية التى كان يعرضها فى قصر فرساي على بعد ١٤ ك.م. من باريس .



## الجزء الثانى



منذ عدة أيام والحجرة مضطربة . كانت إليزابيث تضايق بول بأسلوب الخفاء والتلميح غير المفهوم ، ( وتلح ) فى موضوع لطيف ليس له فيه أى نصيب . كانت تعامل آجات بثقة وجيرار كشريك متواطئ معها ، وتغمر بعينها عندما توشك أن تتضح التلميحات . تجاوز نجاح هذا الأسلوب آمالها . عاد بول لعذابه ، واستغل فضوله ومنعه الكبرياء أن يستميل فى صفه جيرار أو آجات اللذان منعتهما إليزابيث فضلا عن ذلك أن يتكلما تحت طائلة أى خلاف .

استولى عليه الفضول . راقب الثالث فى الوقت الذى تطلق عليه إليزابيث « وقت خروج الفنانات » واكتشف أن شابا رياضيا ينتظر مع جيرار أمام بيت الأزياء وحمل الجميع فى سيارته .

كان مسرح الأحداث ليلا أكثر حدة . كان بول يعامل شقيقته وآجات كعاهرتين وجيرار كقواد . كان يريد أن يغادر الشقة ، ولكنهما تستطيعان أن تجلبا إليها الرجال . هذا ما يتوقعه . كانت عارضتا الأزياء عاهرتين ، عاهرتان من المستوى

الوضيع . شقيقته كلبة صيد تجر آجات وجيرار، نعم، جيرار  
مستول عن كل شيء .

بكت آجات رغم أن إليزابيث قاطعت الحديث بصوت  
هادئ، « اتركه، جيرار، إنه شخص غريب .. » غضب جيرار  
وأوضح أن هذا الشاب يعرف خاله، وهو يسمى ميكائيل، وأنه  
يهودى أمريكى، يمتلك ثروة ضخمة وأنهم يرغبون فى الابتعاد  
عن تدبير المؤامرات، وتقديمه إلى بول .

صاح بول بأنه يرفض أن يتعرف على هذا اليهودى السافل،  
وأنه سيصفعه فى اليوم التالى وقت اللقاء .  
استطرد وعيناه تلمعان بالكراهية :

- هذا شيء استنكره، أنت وجيرار تجران هذه الصغيرة،  
وتدفعانها إلى ذراعى هذا اليهودى، وربما تريدان بيعها !  
أسرعت إليزابيث قائلة :

- لقد أخطأت يا عزيزى، أخبرك بطريقة ودية بأن الصواب  
قد جانبك، وأن ميكائيل يأتى لى، يريد أن يتزوجنى ويروق لى  
كثيرا .

- يتزوجك؟ يتزوجك، أنت ! ولكنك حمقاء، ولكنك لم  
تشاهدى نفسك فى المرأة، ولكنك لا تصلحين للزواج، كريهة  
المنظر، بلهاء ! إنك ملكة البلهاء ! إنه يخدعك، ويسخر منك !  
وكان يضحك ضحكة متشنجة ..

تعرف إليزابيث أن مشكلة أن يكون يهوديا أم لا ليست  
مطروحة بالنسبة لبول أو بالنسبة لها . أحست بالدفء والراحة

وانشرح قلبها وملاً السرور كل الحجرة . كم تحب ضحكة بول !  
وكم كان جميلاً أن يتضايق شقيقها لهذه الدرجة .

فى اليوم التالى ، أحس بول بأنه مشير للسخرية . اعترف بأن  
نقاشه الحاد تعدى حدوده . ونسى أنه قد صاح بأن الأمريكى  
يطمع فى آجات ، وقال فى نفسه : «إن إليزابيث حرة يمكنها أن  
تتزوج أى إنسان ، لا أهتم بذلك» وكان يتساءل عن أسباب  
ثورته .

استاء ، وتدرجيا اقتنع بأن يقابل ميكائيل .  
كان ميكائيل يشكل مع الحجرة تناقضاً بالغاً . تناقض  
واضح ، وحاد ، لدرجة أنه ، فيما بعد ، لم يفكر أحد من الأطفال  
أن يفتح له هذه الحجرة . إنه يمثل لهم المظهر الخارجى . من  
الوهلة الأولى نقدته حق قدره . نعرف أنه يمتلك ثروة كبيرة ،  
وأن سباق السيارات وحده يجلب له الشهرة .

كان يجب على هذا البطل السينمائى أن يتغلب على ظنون  
بول السابقة . استسلم بول ، وانبهر . انطلقت المجموعة الصغيرة  
فى مكان ، ما عدا الأوقات التى تذكر الشركاء الأربعة بالحجرة  
والتي يخصصها عادة ميكائيل للنوم .

لم يتأخر ميكائيل عن المشاركة الليلية ، جعلوه يفكر فيها  
ويتحمس لها . وشغلوه بها تماماً .

عندما كانوا يقابلونه بعد ذلك ، كان متأكداً بأنه يتمتع  
بسرور يشبه سرور تيتانيا بالنسبة للنيام فى مسرحية حلم ليلة  
فى منتصف الصيف<sup>(١)</sup> .



- لماذا لا أتزوج ميكائيل ؟

- لماذا لا تتزوج إليزابيث ميكائيل ؟

يمكن أن يتحقق مستقبل الحجرتين . دفعتهن سرعة غريبة نحو المحال وانتعش مشروع الحجرتين بما يتفق مع مشروعات المستقبل التي تركتها التوأمتان المرتبطتان بنسيج واحد للمحادثات .

تريث جيران وحده . أدار رأسه . لم يتجرأ أبدا أن يطمع في الزواج من الساحرة ، العذراء المقدسة . كان يجب ، كما في الأفلام ، أن ينتزعها قائد سيارة ، يقدم على هذه الحركة لأنه لا يعرف حماية المكان المقدس .

استمر وضع الحجرة ، واستعدوا للزواج ، وظل الاتزان كما هو كاتزان مجموعة من المقاعد يؤرجحها مهرج بين خشبة المسرح والجمهور حتى يصيبه الغثيان .

غثيان مسبب للدوار يحل محل غثيان أصابع الحلوى عديمة الطعم . هولاء الصبية الطائشون تعمهم الفوضى ومزيج غير متجانس من الأحاسيس القدرة .

كان ميكائيل يرى الأشياء بوجهة نظر أخرى . لقد فاجأوه كثيرا عندما أعلنوا خطبته لعذراء المعبد . أحب الفتاة الفاتنة وتزوجها . قدم لها ، وهو يبتسم ، فندقه المسمى بالنجمة ، وسيارته ، وثروته .

أثت إليزابيث حجرة نوم من طراز لويس السادس عشر . تركت لميكائيل تأثيث قاعات الاستقبال ، وقاعات الموسيقى .

والرياضة البدنية، وحمّام السباحة. وردة فسيحة شديدة الغرابة تشبه حجرة المكتب. وقاعات الطعام والبلياردو أو المبارزة بالسيف بحاجز زجاجي مرتفع يطل على أشجار. تبعثها آجات. حُجزت لها إيزابيث شقة صغيرة أعلى شقتها .

واجهت آجات كارثة بعدها عن الحجرة. كانت تبكى خفية على قدرتها السحرية، وجفاء بول. ماذا ستصبح ليا ليها؟ وظهرت المعجزة فجأة عند انقطاع الاتصال بين الأخ وشقيقته، ولكن لم تؤثر هذه القطيعة، وهذه النهاية، وهذا الانهيار على بول أو إيزابيث. لم يفكرا في النتائج المباشرة أو غير المباشرة لتصرفهما، ولم يتساءلا في ذلك كما لا يهتم عمل درامي بسير الحكمة أو اقتراب النهاية. ضحى جيرار بنفسه وأطاعت آجات رغبات بول .

كان بول يقول :

هذا شيء مريح جدا. إن جيرار يستطيع، عند غياب خاله، أن يقيم في حجرة آجات ( لم يعد يسمونها حجرة الأم ) وإذا سافر ميكائيل ليس لدى الفتاتين إلا العودة عندنا .

ويوضح لفظ الفتاتين هذا أن بول لا يفكر في الزواج، وأنه يواجه مستقبلاً غامضاً .

بعد احتفال سريع بهذه الرجال الذين يديرون ثروة الزوج التي لا تحصى، وأثناء استقرار إيزابيث وآجات، قرر ميكائيل أن يقضى أسبوعاً في إز<sup>(٢)</sup> حيث يقوم ببعض الإنشاءات وينتظر المهندس المعماري أوامرهم. أخذ سيارته السريعة. كان من

الممكن أن تبدأ الحياة العادية عند عودته .  
ولكن عبقرية الحجرة كانت ساهرة .  
أهناك ضرورة أن نذكر ذلك ؟ على الطريق بين كان (٣)  
ونيس (٤) قتل ميكائيل .  
كانت سيارته منخفضة ، ويلف رقبته بوشاح طويل يتطاير  
فى الهواء . لف هذا الوشاح حول محور العجلة فخنقه ، وأصاب  
عنقه بشدة بينما انزلقت السيارة ، وتحطمت ، واصطدمت  
بشجرة وأصبحت أنقاضا ساكنة بعجلة واحدة تدور فى الهواء  
بسرعة تقل شيئا فشيئا مثل عجلة اليانصيب .

## الهوامش

- ( ١ ) تيتانيا : ملكة الجن في مسرحية شكسبير ( حلم ليلة في منتصف الصيف )  
عندما سعدت لسعادة أبطال المسرحية الأربعة ( النيام ) .  
( ٢ ، ٣ ، ٤ ) مدن فرنسية .



أرهق الميراث ، والتوقيعات ، والاجتماعات مع المديرين ولبس الحداد والعمل الشاق الزوجة الشابة التي لم تعرف من الزواج غير الإجراءات الشرعية . لم يدفع الخال والطبيب شيئاً من جيوبهما ، ولكن قاما بجهود شخصية ، لم ينالا الكثير من الشكر . ألفت إليزابيث عليهما كل أعبائها .

بالاتفاق مع المديرين ، صنفوا ، وقدروا ، وحققوا مبالغ مالية لا تمثل إلا أرقاما ترهق الخيال .

تحدثنا عن أهليتها للثروة التي بفضلها لا يمكن أن يضاف شيء للثروة الأساسية لبول وإليزابيث : ويدل الميراث على ذلك . غيرتهما كثيرا صدمة المأساة . كانا يحببان ميكائيل . وأحداث هذا الزواج المدهشة وموته وضعت هذا الكائن الغامض في منطقة الأسرار ، فقد فتح له الوشاح المشير ، عندما خنقه ، باب الحجرة . كان لا يمكن أن يدخلها أبدا دون ذلك .

أصبح شارع مونمارتر لا يحتمل بسبب رحيل آجات ، وتنفيذ مشروع العزلة الذي كان يداعب بول عندما كان هو وشقيقته يتشاجران ، وهنا توضح هذه النية أنانيته البالغة . إنه فقد كل

معنى وزاد السن من رغباته .

رغم أن هذه الرغبات غير محدودة، اكتشف بول أن العزلة التي يتمناها لن تعود عليه بأى نفع، وعلى العكس، تسبب له فراغا بشعا . انتهز فترة الهدوء حتى يقبل أن يعيش مع شقيقته . أعطته إليزابيث حجرة ميكائيل التي يفصلها عن حجرتها حمام فسيح، أراد الخدم، ثلاثة مولودين <sup>(١)</sup> ورئيس خدم زنجي أن يعودوا إلى أمريكا . استأجرت مارييت مواطنة لها، وبقي السائق .

ما كاد بول يستقر حتى انتظم مكان نومه . شعرت آجات بالخوف، فى الطابق الأعلى، وحدها تماما . كان بول ينام قلقا فى سرير ذى أعمدة .. وخال جيرار يزور مصانع فى ألمانيا .. اختصارا للقول كانت آجات تنام فى سرير إليزابيث . يسحب بول أدوات فراشه ليقيم مراقبته على الأريكة، ويكدس جيرار شيلانه .

كان ميكائيل يسكن هذه الحجرة الغريبة وقت الحادثة المؤلمة، وهو قادر على التسلية فى أى مكان آخر . العذراء المقدسة ! إن جيرار على حق . ليس هناك أى شخص فى العالم يستطيع أن يحظى بإليزابيث، لا هو، ولا ميكائيل . لقد كشف له الحب هذه الدائرة الغامضة التي تعزلها عن ممارسة الحب . والتعدي عليها يسبب الموت، حتى لو سلم بأن ميكائيل قد امتلك العذراء، فإنه لم يستحوذ أبدا على المعبود الذى لم يعيش فيه إلا بموته .



نتذكر أن الفندق يحتوى على ردهة، وقاعة بلياردو صغيرة، حجرة مكتب وحجرة طعام صغيرة. كانت هذه الردهة الغربية موجودة بالفعل من قبل وكأنها غير موجودة، فهي لا تؤدي إلى شيء. يمتد شريط من القماش الوبرى الخاص بدرجات السلم على مشمع الأرضية من اليمين وينتهى عند الحائط. عندما ندخل نرى، على اليسار، مائدة الطعام، تحت ما يشبه الثريا، وبعض المقاعد، وحواجز من الخشب يمكن أن نشكلها بسهولة كما نريد. تفصل هذه الحواجز بين المكان المخصص لحجرة الطعام وبين حجرة المكتب. وهناك أريكة ومقعد مريح من الجلد، ومكتبة متحركة، وخريطة لنصفى الكرة الأرضية. كل هذا تكدر دون نظام حول مائدة أخرى، مائدة ذات أشكال هندسية، يوجد عليها مصباح ذو عاكس هو مصدر الضوء الوحيد فى الردهة .

هناك مسافات ظلت خالية رغم بعض المقاعد الهزازة، وطاولة بلياردو فى غاية الدهشة لعزلتها، ومن مكان لآخر يعكس الزجاج المرتفع على السقف حراسا من الأضواء، وهناك

إضاءة من أسفل من الخارج تشكل صفا من الأضواء تغمر كل  
شيء بضوء قمر صناعي .

نعتقد أن هناك فانوسا ما يسهل إخفاء ضوءه ، و نافذة تفتح  
بهدوء ، وقفزة لص صامته .

ويذكرنا هذا السكون وهذه الأضواء في أرجاء الردهة بالثلج  
وحجرة الاستقبال المعلقة قديما في الهواء في شارع مونمارتر ،  
وكل حي مونتييه الذي يغمره الثلج قبل المعركة . كانت هناك  
عزلة مماثلة ، وتوقع ، وواجهات أبنية شاحبة تبدو خلال الزجاج .  
تبدو هذه الردهة كإحدى الأخطاء الغريبة في حساب  
مهندس معماري اكتشف بعد فوات الأوان أنه نسي المطبخ أو  
السلم .

كان ميكائيل قد جدد تشييد المنزل ، ولم يستطع أن يجد  
حلاً لمشكلة هذا الزقاق المسدود الذي ينتهي به الأمر هكذا  
دائما ، ولكن عند شخص مثل ميكائيل الخطأ في الحساب هو  
مظهر الحياة ، وهو اللحظة التي تصبح فيها الآلة كالإنسان وقد  
تخلت عن مسيرتها . هذا المكان الساكن في منزل ينبض قليلا  
بالحياة كان ملجأ للحياة مهما كان الأمر ، تختفي في هذا الركن  
الفسيح يلاحقها نظام بناء قاسٍ ، ومجموعة من الخرسانة  
والحديد ، كالأميرات المبعدات عن سلطانهن ، يهربن حاملات  
معهن أى شيء .

أعجبوا بالفندق ، يقولون ، « ليس هناك المزيد ، لا شيء غير  
لا شيء ، حتى بالنسبة لملياردير هذا شيء جدير بالتقدير ،

وهكذا فإن الأشخاص المبهورين بنيويورك والذين يستخفون بهذه الردهة، لا يشكون ( ليس أكثر من ميكائيل ) كم هي أمريكية .

إنها تحاكي بالحديد والرخام، بطريقة أفضل ألف مرة، هذه المدينة<sup>(١)</sup> التي تأوى الطوائف السرية، وأنصار مذهب الاتحاد بالرب والعلم المسيحي، ومنظمة كو - كلوكس - كلان<sup>(٢)</sup> والوصايا التي تفرض على الوريثة اختبارات غامضة، والنوادي الكئيبة، والموائد المستديرة، والسائرون نياما لإدجاربو<sup>(٣)</sup> .

هذه الردهة في منزل المجانين، وهذا المشهد الخيالي لأشخاص توفوا يجسدون ويعلنون عن وفاتهم منذ زمن بعيد، يذكرنا كذلك بأسلوب الكاتدرائيات اليهودية وأجنحة الكنائس والمنصات في الطابق الأربعين حيث تسكن سيدات في كنائس على الطراز القوطي<sup>(٤)</sup>، تعزفن على الأرغن وتشعلن الشموع، لأن نيويورك تستهلك من الشموع أكثر من لورد<sup>(٥)</sup>، وروما أو أى مدينة أخرى مقدسة في العالم كله .

ردهة صنعت للطفولة القلقة عندما لا تجرؤ على عبور بعض الممرات، وعندما تستيقظ وتسمع الأثاث الذى يقطع وأكر الأبواب التى تدور .

كانت هذه الحجرة الخفيفة الخاصة بالمهملات هي ضعف ميكائيل، وابتسامته، والمفضلة لنفسه . تكشف لديه عن وجود شيء ما سبق لقاءه مع الأطفال، وجعله جديرا بهم . وأثبتت خطأ استبعاده للحجرة وحتمية زواجه ومأساته . أصبح هناك

سر عظيم واضح : لم تتزوج إيزابيث لثروته، أو قوته، أو  
رشاقته، أو جاذبيته، لقد تزوجته لموته .

كان من الطبيعي أن يبحث الطفلان في أى مكان عن حجرة  
فى الفندق ما عدا الردهة . كانا يتجولان بين حجرتيهما  
كالأرواح المعذبة . لم تعد ليالى الأرق هى هذا الشبح الخفيف  
الذى يهرب عند صياح الديك، ولكنه شبح قلق هائم . عندما  
امتلك كل منهما غرفته الخاصة ولم يريدا الرجوع عما هما فيه  
انفرد كل منهما فى حجرتة غاضبا، أو يتسكعان من حجرة  
لأخرى، بخطى عدائية، صامتين، ونظراتهما تنبض بالكراهية .  
كانت هذه الردهة تلقى عليها نوعا من السحر المؤذى،  
يرعبهما ذكرها، ويمنعهما من اجتياز مدخلها .

لقد لاحظا إحدى خواصها الغريبة، وليست أهونها،  
تنحرف الردهة فى كل اتجاه كسفينة ربطت بهلب واحد .  
حينما يوجد إحداهما فى أية حجرة أخرى يصبح من  
المستحيل تحديد موقعها، وعند اجتيازها يتأكد من وضعها  
بالنسبة للحجرات الأخرى، وتوجهه بصعوبة ضوضاء مبهمة  
لأدوات المائدة الصادرة عن المطبخ .

تستعيد هذه الضوضاء وهذا السحر الطفولة الناعسة بعد  
ركوب القطار السلكى المعلق، وارتياق الفنادق السويسرية التى  
تفتح نوافذها مباشرة على العالم حيث نرى أمامها ركام الثلج،  
القريب جدا جدا، فى الجانب الآخر من الشارع، مثل عمارة من  
الماس .

حينئذ كان على ميكائيل أن يصحبهم حيث ينبغي ، ويمسك  
البوصة الذهبية ، يرشدهم ويدلهم على الأماكن .  
ذات ليلة كان بول مستاء وأرادت إليزابيث أن تمنعه عن  
النوم ، صفق الأبواب ، وهرب ، واعتصم بالردهة .  
لم تكن الملاحظة من طبعه ، ولكنه يتلقى الشواهد الكريهة  
بعنف ، يسجلها وينسقها بسرعة لاستخدامها .  
بمجرد أن أصبح بين صف الحجرات الغامض بجوانبه المظلمة  
والمضيئة على التوالي ، وبمجرد انحصاره بين زخارف هذه الشقة  
الخاوية ، أصبح قطا حذرا لا يفوته شيء . تلمع عيناه ، يتوقف ،  
يدور حول نفسه ، يشمشم ، لا يستطيع مقارنة الحجرة بحي  
مونتيه ، والسكون الليلي بالثلج ، ولكنه استرجع الآن في  
أعماقه رؤيا حياة سابقة .  
راقب حجرة المكتب ، نهض ، سحب وطوى الستار الحاجز  
بحيث عزل مقعدا ذا مسندين ، ونام فيه ، وقدماه على مقعد  
آخر ، ثم حاول أن ينسحب ، ونفسه مطمئنة ، ولكن المشهد  
تخلى عنه ولم يعد له وجود .  
كان يعانى ، يعانى من الكبرياء ، كان انتقامه من شبيهة  
دارجولو خيبة أمل تدعو للثراء . سيطرت عليه آجات ، وبدلا من  
أن يدرك أنه يحبها وأنها تسيطر عليه برققتها وعليه أن يستسلم  
للهزيمة ، ثار ، قاوم ما يعتقد أنه شيطانه ، وقدره السيء .  
لنفرغ حوضا كبيرا فى آخر بأنبوب من المطاط يكفى أن نبداً  
ببساطة .

فى اليوم التالى نظم بول أموره وشيد لنفسه خلوة كما فى رواية «العطلة» للكاتبه سيجور. أتاحـت الحواجز فتحة كالباب. ملأت الفوضى هذا المكان المحاط بسور مفتوح من أعلى، وساهمت فى الحياة غير الطبيعية للمكان، أحضر بول التمثال النصفى المصنوع من الجبس، والخزينة والكتب، والعلب الفارغة. تكدست البياضات القذرة. تعكس مرآة كبيرة كل شىء منظور. استخدم سرير مطوى كمقعد، وتغطى قطعة القماش الحمراء عاكس الضوء.

انتقلت إليزابيث وآجات وجيرار إثر بول، بعد أن وجه لهم الزيارة، لأنهم لا يستطيعون الحياة بعيدا عن مشهد هذا الأثاث المثير.

انتعشوا، أقاموا المعسكرات، استفادوا من الأماكن التى يضيئها القمر وكذلك المظلمة.

بعد أسبوع حل الترمس محل قهوة شارل، والحواجز لا تشكل إلا حجرة واحدة، جزيرة صحراء محاطة بمشمع الأرضية.

منذ الاضطراب الذى حدث لحجرتى النوم، كانت آجات وجيرار يخرجان غالبا معا، عندما أدركا وأدانا المزاج السيء لبول وإليزابيث (مزاج سيء دون أى ادعاء) بالنسبة للود المفقود. كانا يخرجان كثيرا، معا، وكانت صداقتهما العميقة هى صداقة المرضى الذى يعانون من نفس الألم. وضعت آجات بول فى مكانة عالية عن الأرض كما فعل جيرار وإليزابيث،

كلاهما يحب الآخر، لا ينتحبان ولا يتجرأن أن يعلننا عن حبهما. حقا، يحب كل منهما معبوده، مرفوع الرأس، تحب آجات شاب الثلج، وجيرار العذراء القاسية .

لم يرد أبدا لأى منهما فكرة الاعتقاد بأنه يستطيع أن ينال، مقابل حماسه، شيئا آخر غير العطف . يندهشان لتحمل الغير لهما، ويخافان أن يثقلا على حلم الاخوة ويبتعدان برقة عندما يقتنعان بهذا الثقل .

نسيت إليزابيث سياراتها . ذكرها السائق بها . ذات مساء اصطحبت جيرار وآجات فى نزهة، بينما بول ظل حبيس موقفه، يستكشف حبه .

بينما كان ينتظر حتى الدوار صورة آجات المزيفة، أذهله هذا الاكتشاف، وفقاً عينيه . كان يشبه الأشخاص الذين يرون الحروف متداخلة، ولا يستطيعون رؤية السطور الضئيلة التى تظهر بداية هذه الحروف متشابكة .

تبدو الحواجز كحجرة ممثلة فى مسرح، وبها مجالات ممزقة من شارع مونمارتر، تشبه المستنقعات الصينية التى تتفتح فيها أزهار اللوتس فى الفجر بصوت القبلات المسموع، تبهج على التوالى وجوه قاطفيها ومثلات هذه الحجرة . تظهر صورة بول، تتكاثر الصور وكأنها فى قصر من المرايا، بدأت أولا صورة دارجولو واتضحت بين عدد صغير من الفتيات المنتقيات فى الظلام، أضيفت للوجوه بعض القسمات البسيطة وظهر له جليا وجه آجات كم من إعداد، وتخطيط، وتنقيح قبل الحب !



وهو الذى كان يعتقد أنه ضحية اتفاق بين الفتاة وهذا المبتدئ .  
عرف كيف كشف القدر أسلحته ، وبطأه فى التصويب ، والعثور  
على الحب .

لم تلعب هنا ميول بول الخفية أى دور نحو شخص بذاته ،  
لأن القدر جعل آجات رفيقة لإليزابيث من بين ألف فتاة ، كان  
مستعدا للانتحار بالغاز حتى يعرف من المسؤولين عن ذلك .

اندهش بول لهذه المصادفة ودون شك يمكن أن تصبح  
دهشته بلا حدود إذا لم ينحصر بعد نظره المفاجئ فى حبه . لقد  
لاحظ عندئذ كيف يجتهد القدر ، مقلدا مكوك عاملات تخريم  
الدانتلا ، يخزنا بدبابيسه ويتعبنا .

فى هذه الحجرة التى أعدت بشكل ما للتنظيم والاستقرار  
أخذ يفكر فى حبه ، ولم يشرك فيه بداية آجات تحت أى شكل  
دينوى . خمس وحده . فجأة رأى وجهه الهادئ فى المرآة . خجل  
من الهيئة العابسة التى صورتها له حماقته . أراد أن يقابل الشر  
بالشر إلا أن شره أصبح خيرا ، وسيقابل الخير بالخير بأسرع ما  
يمكن . هل سيكون جديراً بذلك ؟ إنه يحب ، ولا يعنى ذلك إلا  
أن يكون هذا الحب متبادلا ، ويمكن أن يصبح كذلك دائما .

بعيدا عن التصور استوحى الاجترام ، وبدا له احترام آجات  
كالكرامية ، ولم يكن لمعاناته أى علاقة بهذه الفكرة ، أنها  
معاناة مكتومة يعتقد أنها بسبب تمسكه بكبريائه . سيطرت  
عليه آجات ، أزعجته وألزمته بالإجابة ، ليس لها شىء ثابت ،  
عليه أن يتصرف ، ويحث عما يتفق معه . إنه لن يجروأ أبدا على



الكلام . وفضلا عن ذلك ، أين الكلام ؟ إن طقوس الديانة الشائعة واختلافاتها تجعل مغامرته غاية في الصعوبة وطبيعة وجودها المضطربة تقتضى بعض الأشياء البسيطة الخاصة التى تذكر فى أوقات خالصة معينة ، يخشى أن يتفوه بها دون أن يؤخذ كلامه على محمل الجد .

قرر أن يكتب . إن سقوط حجر يعكر الصفو ، والحجر الثانى يؤدى إلى نتائج أخرى لا يستطيع أن يتنبأ بها ، ولكنها ستنبو عنه ، سيصبح هذا الخطاب ( رسالة مستعجلة ) عرضة للمصادفة ، إما أنه سيقع وسط المجموعة ، وإما عند آجات وحدها ، وسيتصرف حسب ذلك .

أخفى اضطرابه وتظاهر بالاستياء حتى اليوم التالى ، وانتهر الفرصة حتى يكتب ولا يظهر وجهه الغاضب .

أغاظ هذا التصرف إليزابيث وثبط همة المسكينة آجات . اعتقدت أن بول يكرهها ويتجنبها . فى اليوم التالى ادعت أنها مريضة ، رقدت وتناولت العشاء فى حجرتها .

بعد عشاء حزين منفردة مع جيرار ، أوفدته إليزابيث لدى بول ، توسلت إليه أن يحاول الدخول ويستجوبه ، ويعرف بماذا يلومهم ، بينما تهتم بزكام أصاب آجات .

وجدتها تبكى منبطحة على بطنها ، ووجهها فى الوسادة ، كانت إليزابيث شاحبة . أيقظت حالة القلق فى المنزل بعض الجوانب الساكنة نفسها . شعر بالغموض ، وتساءلت عنه . ولم يعد لفضولها حدود . لاطفت المسكينة ، خفت حزنها ،

وجعلت تعترف .

انتحبت آجات :

- أحبه ، أعبده ، يحتقرنى .

كان ذلك إذن بسبب الحب ، ابتسمت إليزابيث :

- ها هي مجنونة صغيرة .

صاحت وهى تعتقد أن آجات تتحدث عن جيرار .

- أريد أن أعرف بأى حق يحتقرك . هل قال لك ذلك ؟ لا !

إذن ؟ إنه محظوظ هذا الأبله ! إذا كنت تحبينه ، فعليه أن يتزوجك ، ويجب أن تتزوجيه .

ذرفت آجات دموعها ، اطمأنت ، خدرتها بساطة هذه

الشقيقة ، وهذه النتيجة غير المتوقعة التى افترضتها إليزابيث

بدلاً من أن تسخر منها ، وهمست على كتف الأرملة الشابة :

- ليز... ليز ، أنت طيبة ، غاية فى الطيبة .. ولكن لا يحبني .

- هل أنت على يقين من ذلك ؟ ..

- مستحيل ...

- إنك تعرفين ، جيرار فتى خجول ...

واستطردت :

- هادئ ، لطيف .

عندما اعتدلت آجات كان كتف إليزابيث مبللاً بالدموع .

- ولكن .. ليز... لا أعنى جيرار .. إنى أتكلم عن بول .

نهضت إليزابيث ، تلعثت آجات :

- معذرة ... اغفرى لى ..

أحست إليزابيث بأنها تلاشت وهى واقفة، عيناها محدقتان واليدان متدلّيتان، كما كانت ترى حجرة المريضة وكما رأت سابقا استبدال أمها بسيدة أخرى ميتة ليست أمها، كانت تنظر آجاء، وترى بدلا من هذه البنت الصغيرة الباكية أتالى<sup>(٦)</sup> الكئيبة، سارقة دخلت المنزل .

أرادت أن تعف، تمالكت نفسها، واقتربت لتجلس على حافة السرير .

- بول ! هذا شيء محير . لم أشك أبدا .

اتخذت صوتا رقيقا .

- ها هي مفاجأة ! هذا شيء غريب، ومحير . أخبريني، أخبريني بسرعة .

احتضنتها من جديد، وهدأتها واجتذبت الأسرار، واستوضحت بالحيلة كل الأحاسيس الغامضة .

جففت آجاء دموعها، تمخضت، واستسلمت للملاطفة والإقناع، وباحت بما فى قلبها، وكشفت لإليزابيث عن اعترافات لم تجرؤ أبدا أن تعبر عنها لنفسها .

كانت إليزابيث تصغى وهى تتظاهر بالتواضع والحب السامى، والصغيرة تتحدث مستندة على عنق وكتف شقيقة بول مذهولة لرؤية وجه قاضٍ عديم الرحمة ذو يد آلية تداعب شعرها .

تركت إليزابيث السرير، ابتسمت وقالت :

- اسمعى، استريحى، اهدئى هذا شيء بسيط، وسأستطلع

رأى بول .

نهضت آجات مذعورة :

- لا ، لا ، حتى لا يشك فى شىء ما ! أتوسل إليك ! ليز ، ليز ،  
لا تخبريه .

- اتركى هذا الموضوع ، يا عزيزتى ، أنت تحبين بول فإذا كان  
يحبك سيكون كل شىء على ما يرام . لن أبيعك ، اهدئى .  
سوف أسأله دون أن أظهر ذلك ، سأعرف ، ثقى بى ، نامى ، لا  
تتحركى من حجرتك .

هبطت إليزابيث درجات السلم . كانت ترتدى بُرنس حمام  
من الإسفنج ، مربوط عند خصرها بربطة عنق ، يتدلى ذيل  
البرنس ويضايقها ، ولكنها تهبط بطريقة آلية لا تسمع إلا  
صوتا مبهما . تحركها هذه الآلية ، وتمنع طرف البرنس أن يأتى  
تحت نعلها الخفيفين ، وترشدها فى الاتجاه يمينا ويسارا ،  
وتساعدنها فى فتح وغلق الأبواب . تحس أنها إنسان آلى معد  
لعدد معين من التصرفات التى يجب أن يؤديها وإلا تحطم فى  
الطريق . كان قلبها يدق بضربات قوية ، وأذناها تطنان . لا  
تفكر أى تفكير يتناسب مع هذه الخطوة النشيطة . يجعلنا  
الخيال نسمع إلى هذه الخطوات الثقيلة التى تقترب وتحس  
وتعطينا مشية أخف من الطيران وتمزج بين ثقل تمثال وسلاسة  
الغواصين تحت الماء .

تسير إليزابيث فى الممرات متزنة ، خفيفة ، منطلقة كما لو  
أن برنسها أحاط عرقوبها بغليان يشير عند السذج إلى

الأشخاص الخارقين للطبيعة . رأسها خاوية ، لا تحوى إلا تفكيراً مبهماً ، وصدرها يدق بضربات حطاب منتظمة .

منذ ذلك الحين ، كان على الفتاة ألا تتوقف . سيطرت عليها عبقرية الحجرة وتجاوزتها كما تسيطر أى عبقرية على رجل أعمال تملى عليه أوامرها التى تجنبه الإفلاس ، وعلى البحار سلوك ينقذ السفينة ، وعلى المجرم كلمات تثبت أنه كان فى مكان آخر غير مكان الجريمة .

قادتها هذه المسيرة أمام السلم الصغير الذى يؤدى إلى الردهة الخاوية ، كان جيرار خارجاً منها ، قال :

- كنت أبحث عنك ، إن بول غريب الأطوار ، يريد أن أستدعيك . كيف حال المريضة ؟

- عندها صداع نصفى ، وطلبت أن نتركها تنام .

- سأصعد عندها .

- لا تصعد . إنها نائمة ، اذهب إلى حجرتى ، انتظرنى هناك بينما أرى بول .

دخلت إليزابيث وهى متأكدة من طاعة جيرار السلبيه . استيقظت إليزابيث القديمة مرة أخرى . تأملت الألعاب غير الحقيقه للقمر الصناعى ، والثلج الصناعى ، ومشمع الأرضية اللامع الذى ينعكس عليه الأثاث المتناثر ، وفى الوسط ، المدينة الصينيه ، والصور المقدس ، والجدران الانسيابية العالية التى تشرف على الحجرة .

دارت حول هذه الأشياء ، أبعدت صحيفة ، ووجدت بول

جالسا على الأرض ، يستند نصفه الأعلى وقفاه على الأغطية ، كان يبكى . لم تكن دموعه هى تلك الدموع التى كان يذرفها على الصداقة المنهارة ، ولا تشبه دموع آجات ، إنها تتكون بين أهدا به ، تزداد ، تفيض وتنساب على مسافات طويلة ، تنحرف وتصل إلى فمه المنفرج حيث تتوقف ثم تنساب ثانية كأى دموع أخرى .

كان بول ينتظر من الرسالة السريعة نتيجة عنيفة . لا تستطيع آجات إلا أن تستقبله . كادت أن تقضى عليه هذه الضربة عديمة الجدوى وهذا الانتظار ، تخلت عنه التعهدات التى اتخذها والحذر والسكون . كان يريد أن يعرف مهما كلفه الأمر . أصبح الشك لا يحتمل . إن إليزابيث خارجة من عند آجات ، سألتها :  
- أية رسالة ؟

عادت إليزابيث إلى طرقها الخاصة ، دون شك حدث شجار وأذهلتها الإهانة . طلبت من بول أن يسكت ، ويجيبها ، ويصيح عاليا ، ولكن أمام محكمة ، محكمة رقيقة اعترف أقر باكتشافه ، وحقاقته ، ورسالته ، وتوسل لشقيقته أن تقول له لو أن آجات ترفضه .

لم تحرك تلك الضربات المتتالية عند التمثال المتحرك إلا تهورا يغير سلوكياته . ذعرت إليزابيث من هذه الرسالة . هل عرفت آجات وسخرت منها ؟ أنسيت أن تفتح الرسالة وتعرفت على الخط ، أم هى فى سبيل فتحها ؟ هل ستظهر ؟

قالت :

- مهلا ، يا عزيزى ، انتظرنى ، لدى أمور ذات شأن سأقولها لك . لم تحدثنى آجات عن رسالتك . لن تختفى هذه الرسالة ويجب أن نجدها ، سأصعد مرة أخرى ، سأعود بعد قليل .  
استأذنت وتذكرت أنين آجات ، وتساءلت إذا كانت هذه الرسالة لم توضع فى البهو . لم يخرج أحد ، ولم ير جيران الرسائل . إذا ربما تركت فى الطابق الأسفل . يمكن أن تكون هناك .

كانت هناك . ظرف أصفر مفروك ، مقوس مثل ورقة شجر جافة ، موضوع على صينية .

أضاءت النور . كان خط بول ، خط غليظ لتلميذ سيء ، ولكن الظرف كان يحمل عنوانه هو ، بول يكتب لبول ! مزقت إليزابيث الظرف .

كان هذا البيت يجهل أوراق الرسائل ، وكانوا يكتبون على أى شىء . فضت ورقة مربعة ، رسالة خالية من الإمضاء .

« آجات ، لا تغضبى ، أنى أحبك . كنت أحمق . كنت أعتقد أنك تحقدى على . اكتشفت أنى أحبك ، وإذا كنت لا تحبينى سأموت . أتوسل إليك أن تردى على . إنى أتعذب . لن أتحرك من الردهة » .

أخرجت إليزابيث لسانها قليلا . هزت كتفيها . كان العنوان باسمه ، فقد كتب بول اسمه على الظرف لاضطرابه واستعجاله . إنها تعرف أساليبه ، ولم يغيرها أحد .



افترضت أن الرسالة عادت كالطوق<sup>(٧)</sup> بين يدي بول ، بدلا من أن تظل بالطريقة ، وأن اليأس سيستحوذ عليه من عودة الرسالة حتى يمزق الورقة ويفقد الأمل . إنها تستطيع أن تجنبه النتائج المؤسفة التي تشتت أفكاره .

ذهبت إلى مرحاض غرفة الثياب ، مزقت الرسالة وأخفت آثارها .

عادت إلى البائس ، أخبرته بأنها آتية من حجرة آجات ، وأنها نائمة . والرسالة عندها موضوعة على الصيوان الصغير : ظرف أصفر تخرج منه ورقة مطبخ ، تعرفت على هذا الظرف ، لأنه يوجد ربطة من الظروف المماثلة على مائدة بول .

- ألم تكلمك في شيء ؟

- لا ، وأريد كذلك ألا تعلم أبدا أني رأيته . ولا ينبغي أن نسألها إذن عن شيء ، ستجيب بأنها لا تشك فيما نريد أن نقول .

لم يخطر على ذهن بول النتيجة التي يمكن أن تحدثها هذه الرسالة . كانت رغبته تميل نحو احتمالات النجاح . لم يتوقع هذه الهوة ، وهذه الفجوة . سألت دموعه على خده الأيمن ، واسته إليزابيث ، روت بالتفصيل مشهدا باحت لها فيه الصغيرة بحبها الذي تكنه لجيرار ، حب جيرار ، وعزمهما على الزواج .

أطالت في شرحها :

- شيء غريب ألا يكلمك جيرار في ذلك . سأهدده وأمنعه .



أما بالنسبة لك فهذا شيء آخر ، إنه يعتقد أنك ستسخر منهما .  
سكت بول وابتلع مرارة هذا الخبر غير المفهوم . شرحت  
إليزابيث قضيتها التي تريد اثباتها . بول أحرق ! آجات فتاة  
صغيرة بسيطة ، وجيرار شاب شهم . لقد خلق كل منهما  
للآخر . أصبح خال جيرار كهلا ، وسيصبح جيرار ثريا ، حرا ،  
سيتزوج آجات وسيؤسس أسرة متيسرة الحال من الطبقة  
الوسطى ، ولا يعترض حظهما أية عقبة . من القسوة والجرم ، نعم  
من الجرم أن يتدخل أحد بينهما ، وأن يسبب مأساة ويزعج  
آجات ، ويحزن جيرار ، ويفسد مستقبلهما . لا يسع بول أن  
يفعل هذا . إنه يتصرف تحت تأثير نزوة عابرة . إنه يفكر ويدرك  
أن نزوته لن تقف ضد حب متبادل .

تكلمت لمدة ساعة ، تكلمت ، دافعت عن قضية عادلة .  
تحمست . اندمجت في المرافعة . انتحبت ، خفض بول رأسه ،  
أذعن للأمر ، استسلم بين يديها . وعد بأن يسكت وأن يظهر  
وجهها بشوشا للثنائي الشاب عندما سيعلمان له الخبر ، وأكد  
صمت آجات بالنسبة لموضوع الرسالة قراره على النسيان ،  
واعتبر إرسال هذال الخطاب نزوة ، ولا يحمل أية ضغينة . ولكن ،  
بعد هذه الرسالة ، من الممكن أن يكون هناك مضايقة يحس بها  
جيرار فجأة . ستعالج فترة الخطوبة الأمور وتلهي كلاهما ، وبعد  
ذلك ستكتسح رحلة الزواج كل هذه المضايقات نهائيا .

جففت إليزابيث دموع بول ، قبلته ، غطته ، وتركت مكان  
الفريسة . كان عليها أن تتابع عملها . تعلم بفطرتها أن القتلة

يضربون بلا انقطاع ، ولا يستطيعوا التقاط أنفاسهم . واصلت  
مسيرتها كالعنكبوت الليلي الذى ينسج خيوطه ويضئ  
كمينه طوال الليل ، ببطء ، خفيف ، لا يكل .

وجدت جيرار عندها . كان يعانى من الملل وصاح :  
- حسنا ؟

زجرته إليزابيث .

- ألن تتخلى أبدا عن عادة الصباح هذه . حسنا . إن بول  
مريض . إنه أحرق لتحمله كل ذلك وحده . يكفي أن تنظر إلى  
عينيه ولسانه . لقد أصابته الحمى ، سيقدر الطبيب لو أن ذلك  
زكام أو عاوده المرض . عن نفسى سأمره بأن يلزم الفراش ، وألا  
يراك . ستنام فى حجرته ...

- لا ، إنى سأنصرف .

- انتظر . عندى ما أقوله لك .

كان صوت إليزابيث رزينا . أجلسته ، سارت طولا وعرضا  
وسألتها عما يعتزم أن يفعل نحو آجات .  
سأل :

- أفعل ماذا ؟

- كيف ؟ ماذا ؟

وبصوت جاف ، متغطرس ، سألتها لو كان يخدعها ، وهل لا يعرف  
أن آجات تحبه وتأمل أن يطلبها للزواج ، ولكنها لا تبرر صمتها .  
فتح جيرار عينيه ببلاهة ، وذهل ، تلثم :  
- آجات ... آجات ..

اندفعت إليزابيث فى حدة :

- نعم، آجات .

كان جيرار لا يفقه شيئاً، على الإطلاق . كان يجب أن ترشده جولاته مع آجات . وقليلًا حولت ثقة الفتاة نحو جيرار إلى حب، وحددت المواعيد، وقدمت الدليل، وهزت جيرار بطائفة من البراهين . أضافت أن آجات تعاني وتتحيل أنه يحب إليزابيث، وهذا شيء مضحك، وأن قدرها، قدر إليزابيث، يجعل ذلك معقداً بكل وسيلة . تمنى جيرار أن يختفى فى جب . كانت قسوة اللوم بسيطة فى أسلوب إليزابيث التى لا تهتم بالمسائل المالية، لدرجة أنه أحس باضطراب فظيع . انتهزت هذا الاضطراب لتقضى عليه . حذرته ألا ينظر إليها بفتور بينما تضرب رأسها بقسوة، وطلب منه أن يتزوج آجات وألا يبرح بدورها المسالم . عدم إدراك جيرار أجبره على القيام بهذا الدور، وفى هذه الحالة لا تتحمل هى أى مسؤولية عندما تعتقد آجات أنها مدينة لها بسعادتها .

أنهت حديثها :

- هيا، ها هو عمل حسن . ارقد، سأذهب عند آجات وأعلن لها هذا الخبر . أنت تحبها، وأن جنون العظمة ينتابك استيقظ . هنئ نفسك . قبلنى واعترف بأنك أسعد رجل فى العالم . وافق جيرار على ما طلبته الفتاة وهو مذهول، مجذوب . احتجزته، وصعدت عند آجات لتكمل شراكها . من بين ضحايا القاتل، توجد فتاة تقاوم بشدة .

ترنحت آجات تحت الضربات ولم تستسلم . أخيرا ، انهارت من التعب بعد صراع عنيف شرحت لها إليزابيث خلاله أن بول غير جدير بالحب ، وأنه لا يحبها لأنه لم يحب أحدا ، ويحطم نفسه ، وأن هذا الشخص سيء الطباع أنانى يمكن أن يسبب ضياع سيدة ساذجة . ومن جهة أخرى ، جزار شخص ذو قلب نبيل ، مهذب ، عاشق ، جدير بأن يحقق الأمان للمستقبل ، وسترتبط الفتاة بأحضانها التي تشدها حلمه . رأتها إليزابيث متدلية خارج أغطية السرير ، خصلات شعرها متلاصقة ، وجهها للخلف ، إحدى يديها على جرح كرامتها والأخرى تسقط على الأرض كالحجر .

رفعتها ، زينتها ، أقسمت لها أن بول لا يشك في اعترافاتها ، ويكفى أن تعلن له آجات مبتهجة زواجها من جزار حتى لا يشك أبدا في ذلك .

- شكرا .. شكرا .. إنك طيبة .

شهقت المسكينة باكية .

قالت إليزابيث :

- لا تشكرينى ، نامى .

وغادرت الحجرة .

توقفت لحظة ، وأحست بالهدوء ، والقسوة ، فقد تخلصت من حملها ، كانت على وشك الوصول أسفل درجات السلم عندما بدأ قلبها يدق مرة أخرى ، لقد سمعت شيئا ما ، وعندما رفعت قدمها رأت بول يقترب .

كان رداؤها الطويل الأبيض يضيء الظلام . أدركت إيزابيث في الحال أنه يمشى فريسة إحدى نوبات المشي الصغيرة المتعددة أثناء النوم كما كان يفعل في شارع مونمارتر ، والتي تسبب لها دائما الكراهية . استندت على درابزين السلم ، محتفظة بقدمها معلقة ، لا تجرؤ أن تتحرك أكثر من ذلك خوفا من أن يستيقظ بول ويسألها عن موضوع آجات ، ولكنه لا يراها . لا يقع نظره على هذه السيدة الطائفة أكثر من رؤيته لأحد المصاييح . كان ينظر إلى السلم . فزعت إيزابيث لدقات قلبها وتكاد تسمعه كضربات حطاب .

بعد وقفة قصيرة عاد بول على عقبه . أنزلت قدمها المخدرة . سمعته وهو يبتعد نحو الهدوء . عادت بعد ذلك إلى حجرتها . كانت الحجرة المجاورة ساكنة . هل جيران نائم ؟ ظلت واقفة أمام التسريحة ، شغلتها المرأة ، خفضت عينيها وغسلت يديها المرعبتين .

## الهوامش

- ( ١ ) نيويورك .
- ( ٢ ) منظمة عنصرية فى أمريكا ، معادية للزواج واليهود والمسلمين ، يلبس أنصارها أقنعة ويحرقون بيوت الزوج ، أصبحت علنية الآن .
- ( ٣ ) كاتب وشاعر أمريكى تدور أعماله فى عالم غريب .
- ( ٤ ) الذى يتميز بالقباب المعقودة .
- ( ٥ ) مدينة ، عاصمة البرانس العليا .
- ( ٦ ) ملكة يهودية فى مسرحية الكاتب الفرنسى راسين ، المعروفة بهذا الاسم . بعد موت ابنها استولت على العرش بعد أن قتلت أبناء زوجها .
- ( ٧ ) طوق من الخشب أو المعدن يلعب به الأطفال ، يدفعونه أمامهم ، ثم يعود إليهم .

أحس الخال بشدة المرض ، فأسرعوا بالخطوبة والزواج فى سرور مفتعل ، كل يقوم بدوره ويتبارى فى الكرم ، ومن جهة أخرى يثقل سكون مميت على هذه الحفلات ، وأثناء ذاك كان بول وجيرار وآجات يحملون إليزابيث فوق طاقتها وهم فى مبتهجين . حاولت عبثا أن تقنع نفسها بأن حزمها الشديد أنقذهم من كارثة ، وأن بفضلها لم تعد آجات ضحية اضطراب بول ، ولم يعد بول ضحية لمستوى آجات الأدنى . ثرثرت عبثا : إن جيرار وآجات من نفس المستوى ، يبحث كل منهما عن الآخر من خلالنا ، وبعد عام سيكون لديهما طفل ، وسيشكران الظروف . نسيت مساعيها الليلية القاسية كأنها تخرج من نعاس مرضى ، وعبثا تحاول أن تجعلهما يلتزمان بحكمة تحميهما ، إنها لا تحس بأدنى قلق نحو البؤساء ، وتخشى أن تترك الثلاثة معا .

كانت تثق فى كل منهم . تحميها رقتهم ضد أى مجابهة للأعمال التى يخاطرون بسوء استخدامها ، وينسبون لها لسوء النية . أية سوء نية ؟ سوء نية لماذا ؟ سوء نية لأى سبب ؟ اطمأنت

إليزابيث وهى تتساءل ، ولم تجد أى رد . إنها تحب هؤلاء  
المساكين . جعلتهم ضحايا بدافع المصلحة والعاطفة . ترعاهم ،  
تساعدهم ، تخرجهم وتخلصهم رغما عنهم من الحيرة التى  
يعدها لهم المستقبل . أتعبت قلبها هذه المهمة الشاقة . ينبغى  
ذلك . ينبغى ذلك .

- ينبغى ذلك .

كررت إليزابيث القول مرارا ، وكأنها تقبل على عملية  
جراحية خطيرة . أصبح سكينها مشرطا . عليها أن تقرر فى  
نفس الليلة ، وتخدر وتجرى العملية الجراحية . هنأت نفسها  
لهذه الحاشية ، ولكن دفعتها ضحكة لآجأت نحو الحلم . جلست  
إلى المائدة ، سمعت هذه الضحكة الزائفة ، ورأت مظهر بول  
السيئ ، وتكشيرة جيرار المحبوبة ، وعادت لشكوكها ، طردت  
الهلع والتفاصيل القاسية ، وأوهام تلك الليلة المشهورة .

تركت رحلة الزواج الأخ وشقيقته وجها لوجه . ساءت صحة  
بول شيئا فشيئا . شاركته الحصار ، كانت تسهر عليه وتعتنى به  
ليلاً ونهاراً . ولا يدرك الطبيب معاودة هذا المرض الذى لا يعرف  
أعراضه . تزعجه الحجرة ذات الحواجز . كان يريد أن يضع بول  
فى حجرة مريحة ، اعترض بول على ذلك . كان يعيش فى  
بياضات عديمة الشكل . تعكس قطعة النسيج الحمراء الضوء  
على تلك التى تسمى إليزابيث وهى جالسة ، وجنتاها بين  
يديها ، وعيناها محدقتان ، يفتك بها اهتمام كئيب . تلون قطعة  
القماش الحمراء وجه المريض ، خدعت إليزابيث كما انخدع



جيرار من مضخات الإطفاء، ورسخت هذا الجو الذى لم يعد يتغذى إلا بالكاذب .

استدعى موت الخال جيرار وآجات . استقرا فى شارع لافيت ، رغم إلحاح إليزابيث التى تخلت لهما عن طابق . واعتقدت أن الزوجين متفاهمان ، وحققا بعض السعادة ( الجديرة بهما ) وأنهما يخشيان من الآن جو الفندق غير المنتظم ، ويخشى بول موافقتهما ، وتنفس الصعداء عندما أخبرته إليزابيث بقرارهما :

-إنهما يجدان أن أمثالنا يعرضون حياتهما للخطر . لم يرسل لى جيرار ليقول ذلك ، يخشى قدوتنا بالنسبة لآجات ،ؤكد لك بأنى لم أتخيل شيئا ، لقد أصبح مثل خاله . كنت أصغى إليه ، وأنا مذهولة . وأتساءل لو كان يمثل مسرحية ، لو يدرك سخريته .

من وقت لآخر كان الزوجان حديثا العهد بالزواج يتغذيان أو يتعشيان فى ليتوال <sup>(١)</sup> استيقظ بول ، صعد إلى حجرة الطعام ، تجدد الضغط النفسى تحت نظر مارييت ، نظرة حزينة لبريتانية تحس بالمصيبة .



ذات صباح جلسوا لتناول الطعام .

- خمن من قابلت اليوم ؟

سأل جيرار بول وهو سعيد ، مط بول شفتيه متسائلاً :

- دارجولو !

- لا ؟

- بلى ، يا عزيزى ، دارجولو !

كان جيرار يعبر شارعاً ، عندما كاد يسحقه دارجولو وهو يقود سيارة صغيرة . توقف ، كان يعلم من قبل بالميراث ، وأن جيرار يدير مصانع خاله ، ويريد أن يزور أحد هذه المصانع . لم يضل الطريق .

سأل بول لو كان قد تغير .

- كما هو ، شاحب قليلاً . يمكن أن نتخيل أنه شقيق آجات . لم يعد يتعالى على أحد ، كان لطيفاً جداً . يذهب ويجيء بين الهند الصينية وفرنسا . إنه مندوب نوع من السيارات . اصطحب جيرار إلى حجراته فى الفندق ، وسأله لو يتردد على كرة الثلج <sup>(١)</sup> .. أخيراً ، شخصية كرة الثلج .. هى بول .

- وبعد ذلك ؟

- أجبت به بأنى أراك . سألني : « هل مازال يحب السم ؟ » .

- السم ؟

انفزع آجات واندھشت .

صاح بول :

- بالتأكيد، إنه عدواني . السم، هذا شيء عجيب ! فى

حجرة الدراسة كنت أتمنى أن أحصل على بعض السم ( من

الدقة أن يقول : كان دارجولو يحلم بالسموم، وكنت أقلده ) .

سألت آجات لماذا يفعل ذلك ؟

أجاب بول :

- بلا سبب، ليحصل عليه، ليحصل على السم . هذا شيء

عجيب ! كنت أحب أن أحصل على بعض السم كما أحب أن

أحصل على الريحان والباذنجان، كما أملك مسدساً . إنه هنا،

أعلم هنا، إنى أراه، السم، هذا عجيب !

أقترت إليزابيث هذا، أقترت رغم اعتراض آجات وبروح

الحجرة . إنها تحب كثيرا السم . فى شارع مونمارتر كانت تصنع

سما مغشوشا، تملأ قوارير وتحكم سدادها، وتلصق عليها

بطاقات تثير الرعب، وتخترع لها أسماء غامضة .

- يا لها من بشاعة، جيرار، إنهما طائشان ! سينته بكما

الأمر فى محكمة الجنايات .

هذه الثورة البرجوازية لآجات سحرت إليزابيث، وأوضحت

الموقف الذى اتخذته للزوجين حديثا العهد بالزواج .

استبعدت سماجة تصورها لذلك ، ونظرت خلسة نحو بول .

استطرد جيرار :

- اخرج لى دارجولو سموما من الصين ، والهند ، وجزر أنتى<sup>(٢)</sup> . والمكسيك ، سموم السهم ، وسموم التعذيب ، وسموم الانتقام ، وسموم التضحية . ضحك وقال « أخبر كرة الثلج أنى لم أغير منذ أيام الدراسة . كنت أريد أن أعد مجموعة من السموم ، وجمعتها ، خذ ، أعطه هذه اللعبة . » .

سحب جيرار من جيبه ربطة ملفوفة فى ورقة صحيفة يومية . نفذ صبر بول وشقيقته ، بينما ظلت آجات فى الجانب الآخر من الحجرة . فضوا الصحيفة . كانت تحتوى على كرة ذات لون قاتم بحجم قبضة اليد مغلفة بإحدى الأوراق الصينية التى تتمزق كالقطن المندوف ، بها شق يظهر كأنه جرح سكين لامع ، ضارب إلى الحمرة وما بقى منها بلون التراب ، على شكل لفت الرعد<sup>(٣)</sup> . يفوح منها أحيانا رائحة الطين المتماسك المبلل ، وأحيانا رائحة البصل القوية وعطر نبات الخُبيزة .

التزم الجميع الصمت ، فرضت عليهم هذه الكرة السكوت ، وسلبت لبهم ، ونفروا منهما كأنها مجموعة من الثعابين ، واعتقدوا أنها مكونة من أفعى واحدة ، اكتشفوا أن لها عدة رؤوس ، تنبعث منها مهابة الموت .

قال بول :

- هذا مخدر ، إنه يتعاطى المخدرات ، لا يمكن أن يوزع سما .

مدَّ يده .

- لا تلمسها ! ( قاطعه جيرار ) سم أو مخدر ، إن دارجولو يقدمه لك ، ولكن يوصيك بعدم لمسه إطلاقاً . ومع ذلك ، فأنت لا تدرك ما تفعل ، ولن أترك لك هذه القذارة التي ليس لها فائدة للناس .  
غضب بول . كان يميل لرأى إليزابيث . بدت السخرية على وجه جيرار ، تذكر خاله ..

صاحت إليزابيث ساخرة .

- لا يدرك ؟ سترون !

قبضت على الكرة بالصحيفة ، وبدأت تلاحق شقيقها حول المائدة ، صاحت :

- تناول طعامك ، كل .

استأذنت آجات . وثبت بول ، وأخفى وجهه .

سخرت إليزابيث لاهثة :

- انظروا عدم إدراكه ، يا لها من بطولة !

- تناول طعامك أنت ، أيها البلهاء .

- شكراً سأموت ، وستكون في غاية السعادة ، سأضع سمنا في الخزينة .

قال جيرار :

- إن رائحته طاغية ، أخفية في علبة من حديد .

لفت إليزابيث الكرة ، أخفتها في علبة كعك ناشف قديمة وانصرفت . وصلت إلى صوان البياضات حيث الخزينة ، يتناثر عليه مسدس ، والتمثال النصفى ذو الشارب ، والكتب ، فتحتة ووضعت فيه العلبة على صورة دارجولو . وضعتها بعناية وبطء ،

تخرج لسانها قليلا ، تقوم بحركات سيدة تعمل تعويذة وتغرز دبوسا فى دمية من الشمع .

عاد بول بذاكرته إلى حجرة الدراسة ، رأى نفسه يقلد دارجولو ولا يتحدث إلا عن الهمجين والأسهم المسمومة ، وحتى يبهره عرض عليه مذبحه بأسلوب وضع السم على صمغ طوابع البريد ، كان يتملق الشخص سيء الأخلاق ، ولم يفكر لحظة أن السم قاتل . رفع دارجولو كتفيه ، وأعطى له ظهره وعامله كفتاة غير جديرة بالاهتمام .

لم ينس دارجولو هذا الأسير الذى كان يرهف السمع إليه ، والآن يتوج سخريته به . آثار وجود الكرة الأخ والشقيقة . حلت بالجرة قوة خفية . أصبحت قبلة حية لتمرد المجموعة كإحدى تلك الشابات الروسيات اللاتي كانت صدورهن نجما من الصواعق والحب .

بالإضافة إلى ذلك كان بول مبتهجا لإظهار التصرف اللفظ الذى يدعى جيرار ( حسب رأى إليزابيث ) إنه يحمى منه آجات والتصدى من أجلها .

أما إليزابيث فإنها ابتهجت لرؤية بول وهو يتقبل من قبل الإهانة ، والخطر ، ويحتفظ بمفهوم الخزينة .

كانت هذه الكرة توحى لها بشغل الجو الحقيقير ، وتجعلها تمنى انهيارا سريعا لحكم آجات .

ولكن لا تكفى أية تعويذة فى شفاء بول ، أصبح شاحبا ، نحيفا ، فقد شهيته ، وتلازمه كآبة مملة .

## الهوامش

- ( ١ ) يقصد بول ، لأن هناك تقارباً في نطق كلمة بول وكلمة كرة بالفرنسية .
- ( ٢ ) مجموعة جزر ، هايتى ، جاميكا ، بورتوريكا .
- ( ٣ ) نوع من نبات عيش الغراب الذى يتكاثر تحت الأرض وهو لذيذ الطعم .



يوم الأحد، احتفظ الفندق بعادة إنجليزية قديمة وهي إتاحة الراحة لكل من بالمنزل. أعدت مارييت الزجاجات الحافظة للحرارة<sup>(١)</sup> والشطائر المحشوة، وتخرج مع رفيقتها، يأخذ السائق، الذي كان يساعدهما في التنظيف، إحدى سيارات الأجرة، ويوصل العملاء الذين يقابلهم.

ذلك الأحد، كان الثلج يتساقط. كانت إليزابيث تستريح، حسب أوامر الطبيب، في حجرتها، وقد أسدلت الستائر. الساعة الخامسة. بول ناعس منذ الظهر، وقد توسل لشقيقته أن تتركه وحده، وأن تصعد إلى حجرتها، وتطيع الطبيب. نامت إليزابيث ورأت هذا الحلم : مات بول، وهي تعبر غابة تشبه الرواق، من بين الأشجار يسقط الضوء من فتحات عليا تفرقها الظلال. رأت طاولة البلياردو، مقاعد وموائد وضعت في فرجات الغابة، وفكرت : « ينبغي أن أبلغ هذا الجبل المنعزل » في هذا الحلم، الجبل الصغير هو طاولة البلياردو. كانت تسير، تطير مسافات قصيرة ولم تنجح في الوصول إليه. رقدت من التعب، استغرقت في النوم فجأة أيقظها بول. صاحت :

- بول ! أوه ! بول ، لم تمت إذن ؟

أجاب بول :

- بلى ، لقد مت ، ولكنك كذلك توفيت منذ قليل ، ولذلك  
تستطيعين رؤيتي وسنعيش دائما سويا .  
استأنفا السير ، بعد مسيرة طويلة بلغا الجبل الصغير .  
قال بول :

- اسمعي ، ( وضع إصبعه على مسجل آلي للنقاط ) . إسمعي  
جرس الوداع . إن المسجل يعمل بكل سرعة ، ويملاً فرجات  
الغابة بضربات مثل ضربات البرقية .  
أحست إليزابيث بأنها غارقة في عرقها ، تائهة ، وهي جالسة  
على سريرها . ضرب الجرس . تعلم أن الفندق ليس به خدم .  
تحت تأثير الكابوس ، نزلت طوابق الفندق . دفعت ريح عاتية  
بيضاء آجات في البهو ، منكوشة الشعر ، وهي تصيح .  
- وبول ؟

استعادت إليزابيث نفسها وخرجت من حلمها ، قالت :  
- ماذا ، بول ؟ ماذا بك ؟ لقد أراد أن يبقى وحده . وأظن أنه  
نائم كالعادة .

وصلت الزائرة لاهثة (٢) :

- بسرعة ، بسرعة ، لنسرع ، لقد كتب لى بأنه ينتحر بالسم ،  
وأنى سأصل متأخرة جدا ، وأنه أبعدك عن حجرته .  
لقد أودعت مارييت الرسالة عن جيران الساعة الرابعة .  
اندفعت آجات ، وتساءلت إليزابيث مذهولة لو أنها مازالت

نائمة، لو أن ذلك تكملة لحلمها. أخيرا جرت السيدتان .  
فى الرواق، تابعت الأشجار البيضاء والرياح العاتية حلم  
إليزابيث، وهناك مازال البلياردو هو الجبل الصغير، وآثار زلزال  
لم تتوصل الحقيقة أن تخرجه من الكابوس .  
- بول، بول ! أجبنا ! بول !

سكتت الحامل المتألثة . تفوح رائحة كريهة بمجرد وصولهما  
تكتشفان الكارثة . تملأ الحجرة رائحة تسبب الكآبة، رائحة  
كريهة كرائحة نبات لفت الرعد والبصل ونبات الخبيزة التى  
تعرفها السيدتان، ووصلت الرائحة إلى الطريقة . بول ممدد،  
يرتدى برنس حمام من الإسفنج مثل شقيقته، حدقتاه  
متسعتان، ولا يظهر رأسه بوضوح . يحرك الضوء الأبيض، الذى  
يأتى من أعلى، أماكن الظلال على الوجه الشاحب تبعا  
لنسمات الريح، يسقط الضوء على أنفه ووجنتيه فقط .  
على المقعد، يتقارب بغير نظام ما بقى من كرة السم، ودورق  
ماء، وصورة دارجولو .

إن إخراج مسرحية مفاجئة حقيقية لا تشبه أبدا ما نراه .  
اختلفت علينا بساطتهم، عظمتهم، وظروف الحادث . كانت  
السيدتان مدهولتين، وعليهما أن تفترضا وتقبلا المستحيل،  
وتتحقا من هوية بول الذى لم يتعرفا عليه .  
أسرعت آجات، ركعت، وتأكدت أنه يتنفس، واستشفت أن  
هناك أملا . توصلت :

- ليز، لا تظلى ساكتة، ارتدى ثيابك، من الممكن أن يكون

هذا الشيء الفظيع مخدرا، مخدر غير ضار. ابحثى عن الترمس، أسرعى لاستدعاء الطبيب .

تمتت المسكينة :

- الطبيب فى الصيد .. اليوم الأحد ، لا يوجد أحد .

- ابحثى عن الترمس ، بسرعة ! بسرعة ! إنه يتنفس ، إنه بارد

كالثلج . يلزمنا وعاء ، يجب أن يشرب قهوة ساخنة .

اندهشت إليزابيث من حضور ذهن آجات . كيف تدرك حالة

بول ، وتكلم ، وتفكر ؟ كيف تعرف أنه يلزمهما إناء ؟ كيف

تواجه بقوة متعلقة هذا القدر المحتوم من برودة وموت ؟

تحركت فجأة . إن الترمس فى حجرتها .

صاحت من الجهة الأخرى للحامل :

- غطيه !

كان بول يتنفس . بعد أربع ساعات من هذه الظاهرة التى

جعلته يتساءل لو كان هذا السم مخدرا ، ولو كانت جرعة

كبيرة من هذا المخدر تكفى لقتله . تجاوز مراحل العذاب . ماتت

أطرافه ، يترنح ، وجد تقريبا راحتة القديمة ، ولكن الجفاف

الداخلى ، وعدم وجود اللعاب جعلها حنجرتة ولسانه كالخشب ،

وسببا أثرا شديدا لا يحتمل على أماكن من البشرة مازالت

حساسة . حاول أن يشرب ، تحرك فى اتجاه خاطئ ، كان يبحث

عن الدورق فى أى مكان غير المقعد ، وفى الحال شلت ساقاه

وذراعاه ، ولم يعد يتحرك .

فى كل مرة ، عندما كان يغمض عينيه يشاهد نفس المشهد :

رأس كبش عملاقة بشعر سيدة رمادى . جنود موتى ، فُقيئت  
أعينهم ، يستديرون ببطء ثم يسرعون كثيرا ، متصلبين ، حاملين  
السلاح ، حول فروع أشجار ، يعوق أقدامهم حزام من الجلد .  
ارتبطت دقات قلبه بلولب السرير ، ويصدر عن ذلك لحن  
موسيقى . أصبحت ذراعاه أفرعا للأشجار ، قشرتها مغطاة  
بالأوردة الغليظة ، يدور الجنود حول هذه الفروع ويتكرر  
المشهد .

أحيا الإغماء الشديد ذكرى الثلج القديم ، السيارة ، اللعبة ،  
عندما اصطحبه جيران إلى شارع مونمارتر . كانت آجات  
تنتحب :

- بول ! بول ! انظر إلىّ ، كلمنى .

يملاً فمه مذاق لاذع . لفظ :

- اشرب ..

كانت شفثاه ملتصقتين ، باردتين .

- انتظر قليلا ..

أحضرت إليزابيث الترمس ، وملأت غلاية صغيرة للتدفئة .

كرر :

- اشرب ..

كان يريد ماءً بللت آجات شفثيه . توسلت إليه أن يتكلم ،

وأن يوضح حماقته أخرجت الخطاب من حقيبتها وأظهرته له .

- إنه خطأك ، يا آجات ..

- خطئى ؟

عندئذ وضح بول ، وهو يفصل مقاطع الكلمات ، همس ،  
باح بالحقيقة كاملة . قاطعته آجات ، تعجبت ، بررت موقفها .  
انكشفت الخديعة واتضحت أبعادها الملتوية . أدركها المشرف  
على الموت والزوجة الشابة وتفحصاها وحللا جوانب العملية  
الشيطانية واحدا بعد الآخر . ظهر فجأة من حوارهما أن ما  
تسمى إليزابيث هي المجرمة ، إليزابيث صاحبة زيارات الليل ،  
الماكرة ، إليزابيث العنيدة .

أدركا في الحال ما فعلته ، وصاحت آجات :

- يجب أن تعيش !

وكان بول يئن :

- بعد فوات الأوان !

عندئذ حضرت إليزابيث بالإناء والترمس ، مندفعة خوفا من  
أن تتركهما وحدهما مدة طويلة . ساد المكان صمت غريب  
بنفحة كئيبة . أدارت إليزابيث ظهرها ولم ترتاب في اكتشاف  
الموضوع . حركت علبا ، وقوارير ، تبحث عن كوب ، ملأته  
بالقهوة . اقتربت من مخدوعيتها . أدهشتها نظراتهما . رفعت  
إرادة قوية نصف جسم بول الأعلى . ساعدته آجات . ظهرت  
الكراهية على وجهيهما .

- بول ، لا تشرب !

أوقفت صيحة آجات حكة إليزابيث التي تدمرت :

- أنت مجنونة ، كأني أريد أن أسمه .

- أنت قادرة على ذلك .

موت أضيف إلى الموت ، فقد سقطت إليزابيث مترنحة .  
حاولت أن تجيب .

- متوحشة ، متوحشة قدرة !

تلك العبارة المفزعة التي صدرت عن بول كانت خطيرة  
للعناية ، لأن إليزابيث لم تكن تظن أبدا أن لديه القوة حتى  
يتكلم ويؤكد مخاوفه وجها لوجه :

- متوحشة قدرة ! - متوحشة قدرة !

تابع بول ، حشرج ، وهو يرميها بنظرة غاضبة ، وغيظ شديد  
متواصل ، من بين فتحة جفنيه . كان يؤلم فمه الجميل شد  
عضلى وتشنجات ، ويظهر الجفاف الذى يمنع نبع دموعه  
ويكشف فى عينيه عن هذا البريق المحموم وعن نظرة ذئب  
فسفورية .

كان الثلج يضرب زجاج النوافذ كالسياط ، اندفعت  
إليزابيث إلى الوراء ، وقالت :

- حسنا ، نعم ، هذا صحيح ، كنت غيرة ، لا أريد أن أفقدك .  
إنى أكره آجات ، ولا أسمع لها أن تنزعك من المنزل .

رفع من شأنها الاعتراف ، ألبسها ثوبا فضفاضا ، نزع لباس  
الخديعة . ارجع الاضطراب خصلات شعرها إلى الخلف وكشف  
عن جبهتها المتوحشة وجعلها أكثر اتساعا وارتفاعا أعلى عينين  
مملوءتين بالدموع . جابهت وحدها كل من بالحجرة ، تحدثت  
آجات وجيرار وبول ، تحدثت العالم كله .

أمسكت المسدس الموجود على خزانة الصوان ، صاحت آجات .

-إنها ستطلق النار ! ستقتلني ! وتشبثت ببول الذى انزعج .  
لم تفكر إليزابيث إطلاقاً فى إطلاق النار على هذه السيدة  
الرشيقة . قبضت على المسدس بحركة غريزية لتنهى موقفها  
كجاسوسة ضاق عليها الخناق ، وقررت أن تدافع عن نفسها  
ببساطة قبل أن تموت .

تجاه الأزمة العصبية ، وسكرة الموت ، فقدت ميزة تحديها . لم  
يعد التكبر يفيد فى شيء .

حينئذ رأت آجات ، وهى مشدوهة هذا الأمر المفاجئ :  
مجنونة تنهار ، اقتربت من المرأة ، تكشر ، تنزع شعرها ، تنظر  
بطريقة مريبة ، وتخرج لسانها . لم تعد إليزابيث تستطيع  
التوقف لأن ذلك لا يتناسب مع انفعالها الداخلى ، وعبرت عن  
جنونها بإشارات صامتة غريبة ، وحاولت أن تجعل الحياة  
مستحيلة بالإفراط فى السخرية ، والابتعاد عن احتمال الحياة  
، وأن تصل إلى اللحظة التى تتخلى فيها المأساة عن مساندتها .  
استمرت آجات فى الصياح .

-أصبحت مجنونة ! النجدة !

كلمة مجنونة هذه حولت إليزابيث عن المرأة ، كبحت حدة  
انفعالها ، هدأت . أمسكت السلاح والفراغ بين يديها المرتجفتين ،  
اعتدلت ورأسها منخفضة .

كانت تعلم أن الحجرة تنزلق نحو نهايتها على منحدر  
يسبب الدوار ، ولكن هذه النهاية تأخذ طريقها ويجب أن  
يستسلموا لها . لم يفتر التشدد ، كانت تحسب ، تحصى ،



وتضرب ، وتقسم ، تتذكر مواعيد ، وأرقام عمارات ، تجمعها معا ، تخطئ فتبدأ من جديد . فجأة تتذكر أن كآبة حلمها تعود إلى بول وفرجينى<sup>(٣)</sup> حيث كلمة « كآبة » تعنى الجبل الصغير<sup>(٤)</sup> . تتساءل لو أن موضوع هذا الكتاب يحدث فى جزيرة فرنسا ، حلت أسماء الجزر محل الأرقام . جزيرة فرنسا ، جزيرة موريس ، جزيرة سان لويس<sup>(٥)</sup> ، تلت نصوصا محفوفة ، ارتبكت ، خلطت الأمور ، وصلت إلى حالة من الفراغ والذهيان .

أدهش هدوؤها بول ، فتح عينيه . نظرت إليه . واجهت عينين تبعدان وتنهاران ، حل فيهما الفضول الغامض محل الكراهية . أحست إليزابيث بالانتصار عندما أدركت هذا التعبير . أثارتها الغريزة الأخوية ، ودون أن تفارق عيناها هذه النظرة الجديدة استأنفت عملها الساكن . كانت تحسب ، تحسب ، وتتلو على التوالى ، وتزيد وقت العبث ، توقعت أن بول يفكر مليا ، وأنه تحقق من اللعبة ، وتذكر الحجرة البسيطة .

أدى الانفعال إلى صحوته . كشفت الخفايا . مارست أوهامها . كل ما اختلقته حتى الآن دون وعى وهى تعمل بجد كالنحلة التى لا تدرك حركتها الآلية كما لا تدرك تأثيرها ، تفهمه وتثيره كما ينهض مشلول تحت تأثير حدث شديد .

كان بول يتابعها ، كان حاضرا ، وهذا واضح ، يقينه كان يشكل أساس عمله الذهنى الذى يفوق التصرف . استمرت ، استمرت ، استمرت ، وجذبت بول بحركتها . الآن تأكدت من ذلك ، فهو لم يعد يحس أن آجات تتشبث بعنقه ، ولم يعد

يسمع أنينها . كيف يتصرف الأخ وشقيقته ليسمعاها ؟ كان صراخها يدوى فوق كل الأصوات التى تعد ساحة الموت . صعدا ، صعدا جنبا إلى جنب . أخذت إليزابيث فريستها معها . غادرا جحيم أسرة أتريد<sup>(٦)</sup> فوق أحذية الممثلين الإغريق العالية . الآن لا يكفيها ذكاء المحكمة الإلهية ، ولا يستطيعان الاعتماد إلا على نبوغها . أمامها بضع ثوانى من الشجاعة وينتهى بهما الأمر إلى حيث تتحلل الأجساد ، وتقرن الأرواح ، ويبطل ارتكاب المحارم .

كانت آجات تولول فى مكان آخر وفى زمن آخر ، وكان اكترات إليزابيث وبول بها أقل من اكتراتهما بهزات رقيقة تهز زجاج النوافذ . حل ضوء المصباح الشديد محل الغسق ، ما عدا جهة إليزابيث التى تتلقى الضوء الأحمر القانى الصادر عن القماش الأحمر ، تتجنبه ، تختلق الفراغ ، تجر بول نحو ظلام ترى فيه الأشياء بمنتهى الوضوح .

شحب المشرف على الموت ، تمدد بجانب إليزابيث ، بجانب الثلج ، واللعبة ، وحجرة طفولتهما . يشده للحياة ارتباطه بشقيقته العذراء ، ويقيده تفكيره الفياض بجسده الصلب . كان يميز بصعوبة شقيقته . شخص طويل يناديه باسمه ، ولأن إليزابيث مثل العاشقة ترجئ بهجتها منتظرة بهجة الطرف الآخر ، فقد وضعت إصبعها على الزناد ، تنتظر تشنجات موت أخيها وتصرخ فيه حتى يلحق بها ، تناديه باسمه ، مترقبة اللحظة الجليلة التى يرتبطان فيها بالموت .

كان بول منهكا، مالت رأسه، اعتقدت إليزابيث أن هذه هي النهاية، وضعت ماسورة المسدس على صدغها وأطلقت، في سقوطها جذبت أحد الحواجز الساترة الذى انهار تحتها بضجة مفزعة، وكشف عن الضوء الشاحب لزجاج النوافذ الأبيض، وأحدث فتحة عميقة كفتحة فى سور مدينة قصفتها القنابل، وجعلت من الحجرة التى لا يعرف سرها أحد مسرحا مفتوحا أمام المشاهدين .

يميز بول هؤلاء المشاهدين خلف زجاج النافذة .

بينما انعقد لسان آجات عن الكلام، وماتت هلعاً وهي تشاهد جثة إليزابيث تنزف دماً، كان بول يميز فى الخارج بين قنوات مياه الصقيع والثلج المذاب، الأنوف والحدود والأيدى الحمراء وهي تتصارع فى معركة كرات الثلج . لقد تعرف على الوجوه، والحرامل، والكوفيات الصوفية . كان يبحث عن دارجولو، إنه الوحيد الذى لم يلمحه ولم ير إلا حركته، حركته الخطيرة .

- بول ! بول ! النجدة !

ترتعد آجات، تنحنى، ولكن ماذا تريد؟ ماذا تأمل؟ انطفأت عينا بول، انقطع خيط الحياة، ولم يبق من الحجرة الحلقة إلا رائحة كريهة وسيدة صغيرة على رصيف المارة، تتضاءل، وتبتعد، وتتلاشى .

سان كلو، مارس ١٩٢٩ .

## الهوامش

- ( ١ ) الترمس .
- ( ٢ ) آجات .
- ( ٣ ) رواية برنردان دون سان بيير .
- ( ٤ ) نفس حروف ونطق كلمة ( كآبة ) في الفرنسية بمعنى ( جبل صغير ) في رواية بول وفرجينى .
- ( ٥ ) جزر كانت تحت سيطرة فرنسا .
- ( ٦ ) أسرة من الأساطير الإغريقية اشتهرت بمآسيها ، منها : أجاممنون ومينيلاس .

## المشروع القومي للترجمة

المشروع القومي للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التي حققتها مشروعات الترجمة التي سبقته في مصر والعالم العربي ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

- ١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .
- ٢- التوازن بين المعارف الإنسانية في المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .
- ٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .
- ٤- ترجمة الأصول المعرفية التي أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعي في الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التي تضع القارئ في القلب من حركة الإبداع والفكر العالمين .
- ٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .
- ٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .



## المشروع القومى للترجمة

١ - اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت : أحمد سرويش
٢ - الوثنية والإسلام	ك. مادهوربانكار	ت : أحمد فؤاد بليغ
٣ - التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقى جلال
٤ - كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كارييتكوف	ت : أحمد الحضرى
٥ - ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
٦ - اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
٧ - العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكى
٨ - مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
٩ - التغيرات البيئية	أندرو س. جردى	ت : محمود محمد عاشور
١٠ - خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت : محمد معتمد وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١ - مختارات	فيسواقا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
١٢ - طريق الحرير	ديفيد براونستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
١٣ - بيانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب علوب
١٤ - التحليل النفسى والأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
١٥ - الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق عفيفى
١٦ - أثينة السوداء	مارتن برنال	ت : بإشراف / أحمد عثمان
١٧ - مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوى
١٨ - الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
١٩ - الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	ت : نعيم عطية
٢٠ - قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت : يمنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح
٢١ - خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجى	ت : ماجدة العنانى
٢٢ - مفكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢٣ - تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
٢٤ - ظلال المستقبل	باتريك بارنر	ت : بكر عباس
٢٥ - مثوى	مولانا جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦ - دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
٢٧ - التنوع البشرى الخلاق	مقالات	ت : نخبه
٢٨ - رسالة فى التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
٢٩ - الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
٣٠ - الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهوربانكار	ت : أحمد فؤاد بليغ
٣١ - مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	ت : عبد الستار الطوجى / عبد الوهاب علوب
٣٢ - الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣ - التاريخ الاقتصادى لإفريقيا الغربية	أ. ج. هويكنز	ت : أحمد فؤاد بليغ
٣٤ - الرواية العربية	روجر آلن	ت : حصة إبراهيم المنيف
٣٥ - الأسطورة والحداثه	بول . ب . بيكسون	ت : خليل كفت

٣٦ - نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
٣٧ - واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
٣٨ - نقد الحداثة	ألن تورين	ت : أنور مغيث
٣٩ - الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
٤٠ - قصائد حب	أن سكستون	ت : محمد عيد إبراهيم
٤١ - ما بعد المركزية الأوروبية	بيتر جران	ت : عطف أحمد / إبراهيم قحى / محمود ملجد
٤٢ - عالم ماك	بنجامين باربر	ت : أحمد محمود
٤٣ - اللهب المزبوج	أوكتايفيو پاث	ت : المهدي أخريف
٤٤ - بعد عدة أصياف	الدوس هكسلي	ت : مارلين تادرس
٤٥ - التراث المغفور	روبرت ج دنيا - جون ف أ فاين	ت : أحمد محمود
٤٦ - عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد علي
٤٧ - تاريخ النقد الأدبي الحديث (١)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨ - حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتي
٤٩ - الإسلام في البلقان	ه . ت . نوري	ت : عبد الوهاب علوب
٥٠ - ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد بركة وعثمانى الملوذ ويوسف الأملكى
٥١ - مسار الرواية الإسبانية الأمريكية	داريو بيانوييا وخ . م بينيا ليستى	ت : محمد أبو العطا
٥٢ - العلاج النفسى التدميمى	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل	ت : لطفى فطيم وعادل لمرdash
٥٣ - الدراما والتعليم	أ . ف . ألتجتون	ت : مرسى سعد الدين
٥٤ - المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحى
٥٥ - ما وراء العلم	جون بولكنجهوم	ت : على يوسف على
٥٦ - الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود على مكى
٥٧ - الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى
٥٨ - مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
٥٩ - المحبرة	كارلوس مونييث	ت : السيد السيد سهيم
٦٠ - التصميم والشكل	جوهانز ايتين	ت : صبرى محمد عبد الغنى
٦١ - موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهري
٦٢ - لذة النص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعى .
٦٣ - تاريخ النقد الأدبي الحديث (٢)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤ - برتراند راسل (سيرة حياة)	ألان وود	ت : رمسيس عوض .
٦٥ - فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
٦٦ - خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الطيم
٦٧ - مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدي أخريف
٦٨ - نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالتين راسيوتين	ت : أشرف الصباغ
٦٩ - العلم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠ - ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجت	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١ - السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	ت : حسين محمود



- ٧٢ - السياسى العجوز ت . س . إليوت
- ٧٣ - نقد استجابة القارئ جين . ب . توميكنز
- ٧٤ - صلاح الدين والماليك فى مصر ل . ا . سيمينوفا
- ٧٥ - فن التراجم والسير الذاتية أندريه موروا
- ٧٦ - چاك لاكان وإغواء التحليل النفسى مجموعة من الكتاب
- ٧٧ - تاريخ النقد الألبى الحديث ج ٢ رينيه ويليك
- ٧٨ - العولة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية رونالد روبرتسون
- ٧٩ - شعرية التأليف يوريس أوسبينسكى
- ٨٠ - بوشكين عند «نافورة الدموع» ألكسندر بوشكين
- ٨١ - الجماعات المتخيلة بندكت أندرسن
- ٨٢ - مسرح ميجيل ميجيل دى أونامونو
- ٨٣ - مختارات غوتفريد بن
- ٨٤ - موسوعة الأدب والنقد مجموعة من الكتاب
- ٨٥ - منصور الحلاج (مسرحية) صلاح زكى أقطاي
- ٨٦ - طول الليل جمال مير صادقى
- ٨٧ - نون والقلم جلال آل أحمد
- ٨٨ - الابتلاء بالتقرب جلال آل أحمد
- ٨٩ - الطريق الثالث أنتونى جينز
- ٩٠ - وسم السيف (قصص) نخبة من كتاب أمريكا اللاتينية
- ٩١ - المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق باربر الاسوستكا
- ٩٢ - أساليب ومضامين المسرح كارلوس ميجل
- ٩٣ - محدثات العولة مايك فيذرستون وسكوت لاش
- ٩٤ - الحب الأول والصحية سمويل بيكيت
- ٩٥ - مختارات من المسرح الإسباني أنطونيو بويزو بايخو
- ٩٦ - ثلاث زنبقات ووردة قصص مختارة
- ٩٧ - هوية فرنسا (مج ١) فرنان برودل
- ٩٨ - الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى نماذج ومقالات
- ٩٩ - تاريخ السينما العالمية ديفيد روبنسون
- ١٠٠ - مساطة العولة بول ميرست وجراهام تومبسون
- ١٠١ - النص الروائى (تقنيات ومناهج) بيرنار فاليط
- ١٠٢ - السياسة والتسامح عبد الكريم الخطيبى
- ١٠٣ - قبر ابن عربى يليه آباء عبد الوهاب المؤيد
- ١٠٤ - أوبرا ماهرجنى برتولت بريشت
- ١٠٥ - مدخل إلى النص الجامع جيرارچينيت
- ١٠٦ - الألب الأندلسى د . ماريا خيسوس روبييرامتى
- ١٠٧ - صورة الفنان فى الشعر الأمريكى للعاصر نخبة
- ت : فؤاد مجلى
- ت : حسن ناظم وعلى حاكم
- ت : حسن بيومى
- ت : أحمد درويش
- ت : عبد المقصود عبد الكريم
- ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
- ت : أحمد محمود ونورا أمين
- ت : سعيد الغانمى وناصر حلاوى
- ت : مكارم الغمرى
- ت : محمد طارق الشرقاوى
- ت : محمود السيد على
- ت : خالد المعالى
- ت : عبد الحميد شيحة
- ت : عبد الرازق بركات
- ت : أحمد فتحى يوسف شتا
- ت : ماجدة العنانى
- ت : إبراهيم الدسوقى شتا
- ت : أحمد زايد ومحمد محيى الدين
- ت : محمد إبراهيم مبروك
- ت : محمد هناء عبد الفتاح
- ت : نادية جمال الدين
- ت : عبد الوهاب علوب
- ت : فوزية العشماوى
- ت : سرى محمد محمد عبد اللطيف
- ت : إينوار الخراط
- ت : بشير السباعى
- ت : أشرف الصباغ
- ت : إبراهيم قنديل
- ت : إبراهيم فتحى
- ت : رشيد بنحو
- ت : من الدين الكتانى الإبريسى
- ت : محمد بنيس
- ت : عبد القفار مكاوى
- ت : عبد العزيز شبيل
- ت : أشرف على دعور
- ت : محمد عبد الله الجعيدى

- ١٠٨ - ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي مجموعة من التقاد  
١٠٩ - حروب المياه جون يولوك وعادل درويش  
١١٠ - النساء في العالم النامي حسنة بيجوم  
١١١ - المرأة والجريمة فرانسيس هيندسون  
١١٢ - الاحتجاج الهادئ أرلين علوى ماكليود  
١١٣ - راية التمرد سادى پلانت  
١١٤ - مسرحيتا حماد كرنجى وسكان المستنقع وول شوينكا  
١١٥ - غرفة تخص المرء وحده فرجينيا وولف  
١١٦ - امرأة مختلفة (درية شفيق) سينثيا نلسون  
١١٧ - المرأة والجنوسة فى الإسلام ليلى أحمد  
١١٨ - النهضة النسائية فى مصر بث بارون  
١١٩ - النساء والأسرة وقوانين الطلاق أميرة الأزهرى سنيل  
١٢٠ - الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط ليلى أبو لغد  
١٢١ - الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية فاطمة موسى  
١٢٢ - نظم العبودية القديم ونموذج الإنسان جوزيف فوجت  
١٢٣ - الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية نيتل الكسندر وقناوليئا  
١٢٤ - الفجر الكاذب جون جراى  
١٢٥ - التحليل الموسيقى سيدريك ثورپ ديفى  
١٢٦ - فعل القراءة فولفغانج إيسر  
١٢٧ - إرهاب صفاء فتحى  
١٢٨ - الأدب المقارن سوزان باسنيت  
١٢٩ - الرواية الاسبانية المعاصرة ماريا دولورس أسيس جاروته  
١٣٠ - الشرق يصعد ثانية أندريه جونتر فرانك  
١٣١ - مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى) مجموعة من المؤلفين  
١٣٢ - ثقافة العولة مايك فيذرستون  
١٣٣ - الخوف من المرايا طارق على  
١٣٤ - تشريع حضارة بارى ج. كيمب  
١٣٥ - المختار من نقد س إليوت (ثلاثة أجزاء) ت. س. إليوت  
١٣٦ - فلاحو الباشا كينيث كونو  
١٣٧ - منكرات ضابط فى الحملة الفرنسية جوزيف مارى مواريه  
١٣٨ - عالم التلفزيون بين الجمال والعنف إيفيلينا تارونى  
١٣٩ - باريس فى باريس ريشارد فاچنر  
١٤٠ - حيث تلتقى الأنهار هيرت ميسن  
١٤١ - اثنتا عشرة مسرحية يونانية مجموعة من المؤلفين  
١٤٢ - الإسكندرية : تاريخ ودليل أ. م. فورستر  
١٤٣ - قضايا التطوير فى البحث الاجتماعى ديريك لايدار  
١٤٤ - صاحبة اللوكاندة كارلو جولدونى
- ت : محمود على مكى  
ت . هاشم أحمد محمد  
ت : منى قطان  
ت . ريهام حسين إبراهيم  
ت . إكرام يوسف  
ت . أحمد حسان  
ت . نسيم مجلى  
ت . سمىة رمضان  
ت : نهاد أحمد سالم  
ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال  
ت : ليس النقاش  
ت : بإشراف/ رؤوف عباس  
ت : نخبة من المترجمين  
ت : محمد الجندى ، وإيزابيل كمال  
ت : منيرة كروان  
ت. أنور محمد إبراهيم  
ت : أحمد فؤاد بليغ  
ت . سمحه الخولى  
ت : عبد الوهاب علوب  
ت . بشير السباعى  
ت : أميرة حسن نويرة  
ت : محمد أبو العطا وآخرون  
ت : شوقى جلال  
ت : لويس بقطر  
ت : عبد الوهاب علوب  
ت : طلعت الشايب  
ت : أحمد محمود  
ت : ماهر شفيق فريد  
ت . سحر توفيق  
ت : كاميليا صبحى  
ت : وجيه سمعان عبد المسيح  
ت : مصطفى ماهر  
ت : أمل الجبورى  
ت : نعيم عطية  
ت : حسن بيومى  
ت : عدلى السمرى  
ت : سلامة محمد سليمان

١٤٥ - موت أرتيميو كروث	كارلوس فوينتس	ت : أحمد حسان
١٤٦ - الورقة الحمراء	ميجيل دى ليبس	ت : على عبد الرؤوف البمبى
١٤٧ - خطبة الإدانة الطويلة	تاكريد نورست	ت : عبد الغفار مكاوى
١٤٨ - القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إنريكي أندرسون إمبرت	ت : على إبراهيم على منوفى
١٤٩ - النظرية الشعرية عند إلوت وأونيس	عاطف فضول	ت : أسامة إسير
١٥٠ - التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	ت : منيرة كروان
١٥١ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٢ - عدالة الهنود وقصص أخرى	نخبة من الكتاب	ت : محمد محمد الخطابى
١٥٣ - غرام الفراغة	فيولين فاتويك	ت : فاطمة عبد الله محمود
١٥٤ - مدرسة قرانكفورت	فيل سليتر	ت : خليل كلفت
١٥٥ - الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة من الشعراء	ت : أحمد مرسى
١٥٦ - المدارس الجمالية الكبرى	جى أنبال وآلان وأوديت فيرمو	ت : مى التلمسانى
١٥٧ - خسرو وشيرين	النظامى الكنجوى	ت : عبد العزيز بقوش
١٥٨ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ٢)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٩ - الإيديولوجية	ديفيد هوكس	ت : إبراهيم فتحى
١٦٠ - آلة الطبيعة	بول إيرليش	ت : حسين بيومى
١٦١ - من المسرح الإسباني	الخانندرو كاسونا وأنطونيو جالا	ت : زيدان عبد الحليم زيدان
١٦٢ - تاريخ الكنيسة	يوحنا الأسبوى	ت : صلاح عبد العزيز محجوب
١٦٣ - موسوعة علم الاجتماع ج ١	جوردون مارشال	ت : بإشراف : محمد الجوهري
١٦٤ - شامبوليون (حياة من نور)	جان لاكوثير	ت : نبيل سعد
١٦٥ - حكايات الثطب	أ . ن أفانا سيفا	ت : سهير المصادفة
١٦٦ - العلاقات بين المذنبين والعمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليفمان	ت : محمد محمود أبو غدير
١٦٧ - فى عالم طاغور	رابندراناث طاغور	ت : شكرى محمد عياد
١٦٨ - دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	ت : شكرى محمد عياد
١٦٩ - إبداعات أنبية	مجموعة من المبدعين	ت : شكرى محمد عياد
١٧٠ - الطريق	ميفيل دالبيس	ت : بسام ياسين رشيد
١٧١ - وضع حد	فرانك بيجو	ت : هدى حسين
١٧٢ - حجر الشمس	مختارات	ت : محمد محمد الخطابى
١٧٣ - معنى الجمال	ولتر ت . ستيس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤ - صناعة الثقافة السوداء	ايليس كاشمور	ت : أحمد محمود
١٧٥ - التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦ - نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	ت : جلال البنا
١٧٧ - أنطون تشيخوف	هنرى تروايا	ت : حصة إبراهيم منيف
١٧٨ - مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	ت : محمد حمدي إبراهيم
١٧٩ - حكايات أيسوب	أيسوب	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠ - قصة جاويد	إسماعيل فصيح	ت : سليم عبدالأمير حمدان
١٨١ - النقد الأدبى الأمريكى	فنسنت . ب . ليتش	ت : محمد يحيى

- ١٨٢ - العنف والنبوة      و . ب . بيتس
- ١٨٣ - جان كوكو على شاشة السينما      رينيه جيلسون
- ١٨٤ - القاهرة . حاملة لا تنام      هانز إيندورفر
- ١٨٥ - أسفار العهد القديم      توماس تومسن
- ١٨٦ - معجم مصطلحات هيجل      ميخائيل أنوود
- ١٨٧ - الأرضة      بَزْرَجَ علوى
- ١٨٨ - موت الأدب      القين كرنان
- ١٨٩ - العمى والبصيرة      پول دى مان
- ١٩٠ - محاورات كونفوشيوس      كونفوشيوس
- ١٩١ - الكلام وأعمال      الحاج أبو بكر إمام
- ١٩٢ - سياحتنامه إبراهيم بيك      زين العابدين المراغى
- ١٩٣ - عامل المنجم      بيتر أبراهامز
- ١٩٤ - مختارات من النقد الأنجلو - أمريكى      مجموعة من النقاد
- ١٩٥ - شتاء ٨٤      إسماعيل فصيح
- ١٩٦ - المهلة الأخيرة      فالنتين راسبوتين
- ١٩٧ - الفاروق      شمس العطاء شبلى النعمانى
- ١٩٨ - الاتصال الجماهيرى      إدوين إمري وآخرون
- ١٩٩ - تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية      يعقوب لاندوى
- ٢٠٠ - ضحايا التنمية      جيرمى سيبروك
- ٢٠١ - الجانب الدينى للفلسفة      جوزايا رويس
- ٢٠٢ - تاريخ النقد الألبى الحديث ج٢      رينيه ويليك
- ٢٠٣ - الشعر والشاعرية      الطاف حسين حالى
- ٢٠٤ - تاريخ نقد العهد القديم      زلمان شاراز
- ٢٠٥ - الجينات والشعوب واللغات      لويجى لوقا كافاللى - سفورزا
- ٢٠٦ - الهبولية تصنع علماً جديداً      جيمس جلايك
- ٢٠٧ - ليل إفريقى      رامون خوتاسنديز
- ٢٠٨ - شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى      دان أوريان
- ٢٠٩ - السرد والمسرح      مجموعة من المؤلفين
- ٢١٠ - مثويات حكيم سنائى      سنائى الفرنوى
- ٢١١ - فرينان دوسوسير      جوناثان كلر
- ٢١٢ - قصص الأمير مرزيان      مرزيان بن رستم بن شروين
- ٢١٣ - مصر منذ قوم بلعون حتى رجل عبد القصر      ريمون قلاور
- ٢١٤ - قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع      أنتونى جیدنز
- ٢١٥ - سياحت نامه إبراهيم بيك ج٢      زين العابدين المراغى
- ٢١٦ - جوانب أخرى من حياتهم      مجموعة من المؤلفين
- ٢١٧ - مسرحيتان طليعيتان      سمويل بيكيت
- ٢١٨ - رايولا      خوليو كورتازان
- ت : ياسين طه حافظ
- ت : فتحى العشرى
- ت : دسوقي سعيد
- ت . عبد الوهاب علوب
- ت : إمام عبد الفتاح إمام
- ت . علاء منصور
- ت . بدر الديب
- ت . سعيد الفانمى
- ت . محسن سيد فرجاني
- ت . مصطفى حجازى السيد
- ت . محمود سلامة علاوى
- ت . محمد عبد الواحد محمد
- ت : ماهر شفيق فريد
- ت : محمد علاء الدين منصور
- ت . أشرف الصباغ
- ت : جلال السعيد الحفناوى
- ت . إبراهيم سلامة إبراهيم
- ت : جمال أحمد الرقاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
- ت : فخرى لبيب
- ت : أحمد الأنصارى
- ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
- ت : جلال السعيد الحفناوى
- ت : أحمد محمود هويدي
- ت : أحمد مستجير
- ت : على يوسف على
- ت . محمد أبو العطا عبد الرؤوف
- ت : محمد أحمد صالح
- ت . أشرف الصباغ
- ت : يوسف عبد الفتاح فرج
- ت . محمود حمدي عبد الغنى
- ت : يوسف عبد الفتاح فرج
- ت : سيد أحمد على الناصرى
- ت : محمد محمود محى الدين
- ت : محمود سلامة علاوى
- ت : أشرف الصباغ
- ت : نادية البنهاوى
- ت : على إبراهيم على منوفى

٢١٩ - بقايا اليوم	كازو ايشجورو	ت . طلعت الشايب
٢٢٠ - الهيولية في الكون	باري باركر	ت . علي يوسف علي
٢٢١ - شعرية كفاقي	جريجوري جوزدانيس	ت : رفعت سلام
٢٢٢ - فرانز كافكا	رونالد جراي	ت . نسيم مجلي
٢٢٣ - العلم في مجتمع حر	بول فيرابنر	ت . السيد محمد نفادي
٢٢٤ - نمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	ت . منى عبد الظاهر ابراهيم السيد
٢٢٥ - حكاية غريق	جابريل جارتيا ماركث	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٦ - أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هريت لورانس	ت . طاهر محمد علي البربري
٢٢٧ - المسرح الإسباني في القرن السابع عشر	موسى مارديا ديف بوركي	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٨ - علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	ت . ماري تيريز عبد المسيح وخالد حسن
٢٢٩ - مأزق البطل الوحيد	نورمان كيمن	ت . أمير ابراهيم العمري
٢٣٠ - عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	ت . مصطفى ابراهيم فهمي
٢٣١ - الدرافيل	خايمي سالوم بيدال	ت . جمال أحمد عبد الرحمن
٢٣٢ - مابعد المعلومات	توم ستينر	ت : مصطفى ابراهيم فهمي
٢٣٣ - فكرة الاضمحلال	أرثر هيرمان	ت . طلعت الشايب
٢٣٤ - الإسلام في السودان	ج . سبنسر تريمنجهام	ت . فؤاد محمد عكود
٢٣٥ - ديوان شمس تبريزي ج ١	جلال الدين الرومي	ت . ابراهيم الدسوقي شتا
٢٣٦ - الولاية	ميشيل تود	ت : أحمد الطيب
٢٣٧ - مصر أرض الوادي	روين فيلين	ت : عنيات حسين طلعت
٢٣٨ - العولة والتحرير	الانكتاد	ت . ياسر محمد جلد الله وعري مديولى أحمد
٢٣٩ - العربي في الأدب الإسرائيلي	جيلرافر - رايوخ	ت . نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فائق
٢٤٠ - الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كامي حافظ	ت : صلاح عبد العزيز محمود
٢٤١ - في انتظار البرابرة	ك. م كويتز	ت . ابتسام عبد الله سعيد
٢٤٢ - سبعة أنماط من القموض	وليام إمبسون	ت : صبرى محمد حسن عبد النبي
٢٤٣ - تاريخ إسبانيا الإسلامية ج ١	ليفى بروفنسال	ت : مجموعة من المترجمين
٢٤٤ - الغليان	لاورا إسكييل	ت : نادية جمال الدين محمد
٢٤٥ - نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس	ت . توفيق علي منصور
٢٤٦ - قصص مختارة	جابريل جرتيا ماركث	ت : علي ابراهيم علي منوفي
٢٤٧ - الثقافة الجماهيرية والحداثة في مصر	ولتر أرمبرست	ت : محمد الشرقاوي
٢٤٨ - حقول عدن الخضراء	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٢٤٩ - لغة التمزق	دراجو شتامبوك	ت : رفعت سلام
٢٥٠ - علم اجتماع العلوم	يومنك فينك	ت : ماجدة أباطة
٢٥١ - موسوعة علم الاجتماع ج ٢	جوردون مارشال	ت . بلشراف : محمد الجوهري
٢٥٢ - رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	ت : علي بدران
٢٥٣ - تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوفا	ت : حسن بيومي
٢٥٤ - الفلسفة	ديف روينسون وجودي جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥ - أفلاطون	ديف روينسون وجودي جروفز	ت . إمام عبد الفتاح إمام

٢٥٦ - ديكارت	ديف روبنسون وجودي جروفز	ت . إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧ - تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلي رايت	ت : محمود سيد أحمد
٢٥٨ - الفجر	سير أنجوس فريزر	ت . عبادة كُحيلة
٢٥٩ - مختارات من الشعر الأرمني	نخبة	ت . قاروجان كازانچيان
٢٦٠ - موسوعة علم الاجتماع ج ٢	جوردون مارشال	ت بإشراف محمد الجوهري
٢٦١ - رحلة في فكر زكي نجيب محمود	زكي نجيب محمود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢ - مدينة المعجزات	إيوارد مندوتا	ت . محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٦٣ - الكشف عن حافة الزمن	جون جرين	ت : علي يوسف علي
٢٦٤ - إبداعات شعرية مترجمة	هوراس / شلي	ت : لويس عوض
٢٦٥ - روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصموئيل جونسون	ت . لويس عوض
٢٦٦ - مدير المدرسة	جلال آل أحمد	ت : عادل عبد المنعم سويلم
٢٦٧ - فن الرواية	ميلان كونديرا	ت : بدر الدين عروكي
٢٦٨ - ديوان شمس تبريزي ج ٢	جلال الدين الرومي	ت . إبراهيم الدسوقي شتا
٢٦٩ - وسط الجزيرة العربية وشرقها ج ١	وليم جيفور بالجريف	ت : صبري محمد حسن
٢٧٠ - وسط الجزيرة العربية وشرقها ج ٢	وليم جيفور بالجريف	ت . صبري محمد حسن
٢٧١ - الحضارة الغربية	توماس سي . باترسون	ت . شوقي جلال
٢٧٢ - الأديرة الأثرية في مصر	س. س. والترز	ت . إبراهيم سلامة
٢٧٣ - الاستعمار والثورة في الشرق الأوسط	جوان آر. لوك	ت : عنان الشهاوي
٢٧٤ - السيدة بربارا	رومولو جلاجوس	ت : محمود علي مكي
٢٧٥ - د. س. إليوت شاعرًا وثقافيًا وكاتبًا مسرحيًا	أقلام مختلفة	ت : ماهر شفيق فريد
٢٧٦ - فنون السينما	فرانك جوتيران	ت : عبد القادر التلمساني
٢٧٧ - الجنات الصراع من أجل الحياة	بريان فورد	ت : أحمد فوزي
٢٧٨ - البدايات	إسحق عظيموف	ت . ظريف عبد الله
٢٧٩ - الحرب الباردة الثقافية	فرانسيس ستونر سوندرز	ت : طلعت الشايب
٢٨٠ - من الألب الهندي الحديث والمعاصر	بريم شند وآخرون	ت . سمير عبد الحميد
٢٨١ - الفريوس الأعلى	مولانا عبد الحليم شرر الكهنوي	ت . جلال الحفناوي
٢٨٢ - طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس وليبرت	ت . سمير حنا صادق
٢٨٣ - السهل يحترق	خوان رواقو	ت : علي البعبي
٢٨٤ - هرقل مجنوناً	يوريبيدس	ت . أحمد عثمان
٢٨٥ - رحلة الخواجة حسن نظامي	حسن نظامي	ت : سمير عبد الحميد
٢٨٦ - رحلة إبراهيم بك ج ٢	زين العابدين المراغي	ت . محمود سلامة علاوي
٢٨٧ - الثقافة والعمل والنظام العالمي	أنتوني كينج	ت : محمد يحيى وآخرون
٢٨٨ - الفن الروائي	ديفيد لودج	ت . ماهر البطوطي
٢٨٩ - ديوان منجوهري الدامغاني	أبو نجم أحمد بن قوص	ت : محمد نور الدين
٢٩٠ - علم الترجمة واللغة	جورج مونان	ت . أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١ - المسرح الإسباني في القرن العشرين ج ١	فرانشيسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر
٢٩٢ - المسرح الإسباني في القرن العشرين ج ٢	فرانشيسكو رويس رامون	ت . السيد عبد الظاهر

٢٩٣ - مقدمة للأدب العربي	روجر آلان	ت : نخبة من المترجمين
٢٩٤ - فن الشعر	بوالو	ت : رجاء ياقوت صالح
٢٩٥ - سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل	ت : بدر الدين حب الله الديب
٢٩٦ - مكبث	وليم شكسبير	ت : محمد مصطفى بدوي
٢٩٧ - فن النحويين اليونانية والسوريانية	ديونيسيوس ثراكس - يوسف الأهواني	ت : ماجدة محمد أنور
٢٩٨ - مأساة العبيد	أبو بكر ثقافايليوف	ت : مصطفى حجازي السيد
٢٩٩ - ثورة التكنولوجيا الحيوية	جين ل. ماركس	ت : هاشم أحمد فؤاد
٣٠٠ - أسطورة برومثيروس مج١	لويس عوض	ت : جمال الجزيري وبهاء جاهين
٣٠١ - أسطورة برومثيروس مج٢	لويس عوض	ت : جمال الجزيري ومحمد الجندي
٣٠٢ - فنجنشتين	جون هيتون وجودي جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٣ - بوذا	جين هوب ويورن فان لون	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤ - ماركس	ريوس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥ - الجلد	كروزيو مالابارته	ت : صلاح عبد الصبور
٣٠٦ - الحاسة - النقد الكانطي للتاريخ	جان - فرانسوا ليوتار	ت : نبيل سعد
٣٠٧ - الشعور	ديفيد يابينو	ت : محمود محمد أحمد
٣٠٨ - علم الوراثة	ستيف جونز	ت : ممنوح عبد المنعم أحمد
٣٠٩ - الذهن والمخ	انجوس چيلاتي	ت : جمال الجزيري
٣١٠ - يونج	ناجي هيد	ت : محيي الدين محمد حسن
٣١١ - مقال في المنهج الفلسفي	كولتجوود	ت : فاطمة إسماعيل
٣١٢ - روح الشعب الأسود	وليم دي بوز	ت : أسعد حليم
٣١٣ - أمثال فلسطينية	خاير بيان	ت : عبد الله الجعدي
٣١٤ - الفن كعدم	جينس مينيك	ت : هويدا السباعي
٣١٥ - جرامشي في العالم العربي	ميشيل بروندينو	ت : كاميليا صبحي
٣١٦ - محاكمة سقراط	أ. ف. ستون	ت : نسيم مجلي
٣١٧ - بلاغ	شير لايموفا - زنيكين	ت : أشرف الصباغ
٣١٨ - الأدب الروسي في السنوات العشر الأخيرة	نخبة	ت : أشرف الصباغ
٣١٩ - صور دريدا	جايتو ياسييفاك وكريستوفر نوريس	ت : حسام نايل
٣٢٠ - لمعة السراج في حضرة التاج	محمد روشن	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٢١ - تاريخ إسبانيا الإسلامية ج٢	ليفى برو فنسال	ت : نخبة من المترجمين
٣٢٢ - التأريخ الغربي للفن الحديث	دبليوجين كلينباور	ت : خالد مفلح حمزة
٣٢٣ - فن الساتورا	تراث يوناني قديم	ت : هانم سليمان
٣٢٤ - اللعب بالنار	أشرف أسدي	ت : محمود سلامة علاوي
٣٢٥ - عالم الآثار	فيليب بوسان	ت : كريستين يوسف
٣٢٦ - المعرفة والمصلحة	جورجين هابرماس	ت : حسن صقر
٣٢٧ - مختارات شعرية مترجمة	نخبة	ت : توفيق علي منصور
٣٢٨ - يوسف وزليخة	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت : عبد العزيز بقوش
٣٢٩ - رسائل عيد الميلاد	تد هيوز	ت : محمد عيد إبراهيم



٣٣٠ - كل شيء عن التمثيل الصامت	مارفن شبرد	ت : سامى صلاح
٣٣١ - عندما جاء الصربين	ستيفن جراى	ت : سامية بياب
٣٣٢ - القصة القصيرة فى اسبانيا	نخبة	ت : على إبراهيم على منوفى
٣٣٣ - الإسلام فى بريطانيا	نبيل مطر	ت : بكر عباس
٣٣٤ - لقطات من المستقبل	أوتو س. كلارك	ت : مصطفى فهمى
٣٣٥ - عصر الشك	ناتالى ساروت	ت : فتحى العشرى
٣٣٦ - متون الأهرام	نصوص قديمة	ت : حسن صابر
٣٣٧ - فلسفة الولاء	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٣٣٨ - قصص قصيرة من الهند	نخبة	ت : جلال السعيد الحفناوى
٣٣٩ - تاريخ الأدب فى إيران ج٢	على أصغر حكمت	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٤٠ - اضطراب فى الشرق الأوسط	بيرش بيربيروجلو	ت : فخرى لبيب
٣٤١ - قصائد من رلكه	راينر ماريا رلكه	ت : حسن حلمى
٣٤٢ - سلامان وأبسال	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت : عبد العزيز بقوش
٣٤٣ - العالم البرجوانى الزائل	نابليين جورديمر	ت : سمير عبد ربه
٣٤٤ - الموت فى الشمس	بيتر بلانجوه	ت : سمير عبد ربه
٣٤٥ - الركض خلف الزمن	بونه ندانى	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٣٤٦ - سحر مصر	رشاد رشدى	ت : جمال الجزيرى
٣٤٧ - الصبية الطائشون	جان كوكتو	ت : بكر الحلو





رقم الإيداع : ٥٠٨١ / ٢٠٠٢

شركة الأمل للطباعة والنشر  
(مورافيتلى سابقاً)





JEAN COCTEAU

# Les Enfants terribles

عند خروج مدرسة كوندورسيه صرعت بول كرة  
من الثلج قذفها معبوده دار جولو، ديك المدرسة؛ لأنه  
ضعيف لم يذهب إلى المدرسة، تهتم به شقيقته في  
حجرتها، إنها سفينة خيالية تبحر كل مساء إلى  
أقطار بعيدة.

لم يستطع جيرار الذي يحب إليزابيث، ولا آجات  
التي تحب بول أن يمنعا الأخ وشقيقته أن يتحابا  
ويدمرا بعضهما.

■ هذا العمل المهم لجان كوكتو هو حكاية خيالية  
قصة لشاعر أصبح موضوعها نشيداً،

الحجرة محراب يحتفلون فيه بشعائر الحب والموت  
هناك قديسة، وخزينة، ومغذبون ضحايا، وتعويذة ولغة